ألستَ الذى ناجَى الطبيعةَ كلها وترجمها سحرا سَرِيّاً لآدابِ ؟
ألستَ الذى غنَّى الأنوثةَ كلَّ ما يُعبر عن أسمى الصلاةِ بمحرابِ ؟
ألستَ الذى قد عاشَ فى الناس ساخطاً وفى الفنِّ مسروراً وحيداً بأوصابِ ؟
ألستَ الذى قد ماتَ فى غربةِ الضنى وبَشَّرَ بالعَوْدِ القريبِ لمرتابِ[1] ؟
وما حجَّبتهُ عن رُؤَى الحكمةِ الورى إذا خَذلَ الأحلامَ سَطوَةُ حُجَّابِ ؟

* * *

رحلتَ صديقى بعد ما جئتَ موصياً بشعرك، فارحلْ غيرَ خاشٍ وهيَّابِ!
أنا حارسُ الفنِّ الذى أنتَ ربُّهُ وهيهات خِذلانى مواهبَ وهَّابِ
ولكنَّ لى فيما نظمتَ مَدامعاً قصائدَ لم تُعْلِنْ - وإن أعلنت - ما بى
تَلوحُ بأثناء السطورِ لشاعرٍ فروحىَ مِنْ نفسى وأرواحِ أترابى !

أحمد زكى أبو شادى

ديوان عتيق

نظم عبد العزيز عتيق - الجزء الأول، ١٦٠ صفحة بحجم ١٩ × ١٣½ سم.
مطبعة العلوم بالقاهرة. الثمن خمسون مليماً.

أخرج الشاعر عبد العزيز عتيق ديوانه الأول منذ أربع سنين وهو على عتبة حياته العملية، وهو ديوان ملئ بالقصائد الجميلة ذات الموسيقية المنغومة، سجَّل به عهداً من عهود حياته الأولى ومغامرات حبه العفيف، وأثبت فيه خواطره

(١) كانت هذه اخر كلماته عند وفاته.

عبدالعزيز عتيق

الفتية ، وأفكاره الأولى المتأثرة بالأدب العربى الرصين ، وبشعراء العرب المبرّزين ، مع طائفة من أفكاره الأصيلة التى جاد بها وقته الضنين .

والمتصفح لهذه الباكورة الشعرية يلاحظ غلبة الشعر العاطفى على الديوان ، واحتفاله بعاطفتىْ الحب والصداقة بصفة خاصة ، ويشارف فى أغلب الديوان روحاً قائماً ونفساً ساخطة برمة بالحياة وأحداثها ، والصداقة ونزعاتها ، فيحسب مَن لا يعرف شخص الشاعر أن هذه الروح هى روحهُ الغالبةُ وأن مزاجه هو مزاجُ الديوان المتشائم ، فى حين أن هذا الشاعر الشاب متفائل أزهر التفاؤل ينظر الى الدنيا نظرات وردية ، ويحنّ الى الجمال حنينَ الطفولة البريئة ، وكل ما سجّله فى ديوانه انما هو تسجيل لحالات عارضة لنفسه ولمزاجه ، فاذا رأينا هذا الشاب يثور على المحبة أوعلى الصداقة ، فانما هى ثورةٌ يرمى بها لغايات طاهرة نبيلة هى تطهير الحياة من رجسها ، وتجريد الأصدقاء من العواطف الدنيئة كالنفاق والرياء والغدر والختل ، ولا أدلّ على هذه الروح المثالية من قوله فى قصيدة بارعة له جاء فيها :

فالذى شوّه الوجودَ بعينى وأثار القوىّ من صرخاتى

أن ترى النـاسَ لا وفاء لديهم وترى المختلَ يات رأسَ السّمات
وترى الحقَّ زاوياً فى امتهانٍ وترى الجورَ مستطيـــل القناةِ

ومما يزيد القارىء اقتناعاً بروح هذا الشاعر المتفائل ما جاء فى قصيدته « أنا وقلبي » بآخر الديوان ، وهى تفصح فى أجلى بيان عن إشراق نفسه ، وعودته لطبيعته الأصيلة ، وهجرانه عبارات التبرم الجهمة ، وألفاظ اليأس وشكوى الزمان وتوديع هذا العهد إذ يقول :

سأعيش بعد اليوم لا أشكو الشقاء أو الشجونا
سأعيش كاللحن الرقيق يثير فى الكون الحنينا
سأعيش كالحلم السعيدِ يزور دنيا الحالمينا
أمّا التبرمُ بالحياة فان ذلك لن يكونا
عهدٌ أودّعه وانى لا أزال به ضنينا

والمفهومُ من هذا القصيد أن الشاعر كانت تعتلج بنفسه فكرة عدم نشر شعره الأول ، الذى حَوَى ذمَّ الحياة ، والضجر من الصداقة ، ولم يحفزه الى نشره الا تسجيل عهد الصبا الذى يقتات على بعض ذكرياته ، ونحن نسجل اعجابنا بهذا الشعر على اعتبار انه عمل فنى يعبر عن حالات الشاعر العارضة لا باعتباره سجلاً لشخصيته ، ونذكر من نماذج هذا الشعر قصيدتيه « نفثة » و « مناجاة طائر » ففى الأولى تمنى الموت ودعاه لزيارته ، وفى الثانية حكم على الوجود حكماً غير حبيب للنفوس المتصوّفة . يقول فى نفثته :

أوّاه من نفسى ومن زمنى معاً أواه لو تجدى إذن آهاتى
يا موتُ زر فلبئس داراً لم تجد فيها سوى اللوعاتِ والأناتِ
ولربَّ موتٍ يستريح به الفتى من شرِّ عيشٍ لجَّ فى الإعناتِ

وقوله يناجى الطائر ، وهو يكشف بهذا القصيد عن أدجان خواطره وجهامة نفسه فى هذا الوقت كما يقول :

يا طائراً يتغنّى فى خميلته خفّض بربك ! قد جددتَ أشجانى
أذخر دموعَك لا عطفٌ ولا أملٌ بين الأنام سوى بُغضٍ وعدوانِ

وقد ذم الصداقة فى جملة مواضع من ديوانه ودعا الى هجر الأصدقاء ، وهذا ما لا نوافقه عليه ، ولا يقبل من مثله أن يذم عاطفة عزيزة مثل هذا الذم ، وكيف

نذمّ الصداقة وهى ملاذنا اذا ضاقت فى وجوهنا الحياة ، وآدت نفوسنا الهموم ، كما أنها الكاشفة عن عذوبة الحياة والموحية بالفكر الجميل ، وأسمح لنفسى أن أقول أن هذا الخطأ العاطفى هو أثر من آثار الكتب المدرسية العتيقة الفياضة بهذه النازعة ، ومن أمثلة ما جاء فى ديوانه فى ذمّ الصداقة قوله :

لا تكلنى الى الصداقة أفنى ... فى هواها فما ترقّ لما بى
هى فى عالم الحياة فتاةٌ ... صاغها الله شُملة من عذاب

وقوله :

إيه يا قلبُ عش ـ كما كنت ـ فرداً ... نعمةُ العيش فرقةُ الأحبابِ
نشترى الودّ بالرقيق من النبـ ... ـل فنجرى عليه مرّ العتابِ

والذى يبدو لى أن شاعرنا يصبو الى صداقة سامية مثالية كلها نبل وكلها طهر وكلها قداسة ، وهذا لن يكون ، ولا يمكن تصوّره فى عالمنا الدنيوى ، ومن أدلة ذلك قوله :

ان وداً يُبنى على غيرِ نُبلٍ ... لهو ودٌّ مصيرهُ للضياعِ

وقوله :

قد سئمتُ المقامَ بين وجوهٍ ... كوجوه القرودِ والحرباءِ
فاصدقونا الوداد عفّاً شريفاً ... أو دعونا من الطلا والرياءِ

* * *

وشاعرنا الشاب لا يتجاوز السابعة والعشرين من العمر ، ولكنه ناضج الرأى ذكىّ الفؤاد كأنما هدف الى الأربعين ، وهو شاعر وجدانى مطبوع يبحث عن الجمال والحب أينما وجدهما ، يبحث عنهما لذاتهما ولارواء شاعريته ، حتى لنكاد نلمس تلهفه الوجدانى ، وتوثبه الطفولى ، وظمأه الدائم للحب وللجمال ، ونحمسه لحبٍّ جديدٍ اذا خاب الحب القديم ، وها نحن نكاد نسمع نبضات قلبه فى قصيدته الوجدانية البديعة « الريفية الطائشة » والتى يقول فيها :

تعالى أريني ذلك الوجهَ عنّى ... أرى فيه آمالى إذ العيش أنكدُ
ألا وامنحى من غرك العذب قبلةً ... لعلّ بها نار التشوق تبردُ
وهيا اغمريني بالحنانِ فانني ... سئمتُ تحرّيه وما زلت أنشدُ
ولا تسألى ممن يذم وممّنْ يثنى ... اذا نحن أرضينا الضميرَ وندّدُوا

بهذه الفرحة يلاقى شاعرنا الشاب حبيبته .فاذا لم تفهم حبه العفيف وضربت الأيام بينه وبينها وتحوّلت عنه ، أخذ قلمه وأرسل صرخات الألم ، ونفثات صدره الكليم ، واذا به يسمعنا صدى هذه الفورة النفسية فى قصيدته « خيبة » والتى جاء فيها قوله :

جَنّبانى حديثَها جنّبانى وارفقا بى فقد فقدتُ الأمانى
ها هو اليوم قد تبدّى سراباً أملٌ كان ثابتَ الأركانِ

ويقول أيضاً فى هذا الحب الخائب :

عظمت خيبتى وصرّح يأسى ودهانى من خيبتى ما دهانى
إنّ دائى الذى أصاب فؤادى ناشبٌ فى الفؤاد كالسرطانِ

وتأكد للشاعر خيانة هذه الحبيبة ، بعد تشكك ، فأرسل قصيدته القوية الموسومة « بالرياء فى الحب » ينعى فيها الحبّ الشهوانى الدنىء ، ويندم على ذكريات هذا الحب الضائعة فيقول :

أجَزاءُ الذى اصطفاكِ وأفنى فيكِ لو تدرى عمرَهُ وشبابه
ورأى من صفاء حسنكِ روضاً يبهر الشعرَ ظله فاستطابهْ
أن تجازيه بالخيانةِ غدْراً ثم تُهدى إلى الدئابِ ثيابهْ
ليتَ لى مثلهم فؤاداً غليظاً يعشق الفتكَ والدماء المذابهْ

وبعد هذه الصدمة العاطفية لا نجده مثل كثير من المحبين ، يسترسل فى التوجع ويخلد الى اليأس ، ولكنه بما طبع عليه من مزاج دموى متفائل مرح ، ينسى هذا الحب ، ويوسده فى قبره كما يقول ، ويتلفت إلى حب جديد يلمع فى صدره ويوحى إلى فنه ، فاسمع اليه يقول لحبيبة ثانية :

فكالأملِ المحبوبِ تُدنُكِ حينما تقرّبنى منه الشفاءُ الهواسُ

وصفوة القول إن شاعرنا الشاب شاعر متفائل طلق الوجه ، يطير فى الدنيا كالعصفور الرقيق المتوفز يحط من فنن إلى فنن ، ويغنى على كل نبت بنغم متنوع ، وشعر ناصع ، وذهن صاف — ولم يقتصر شعره على الناحية الوجدانية والعاطفية ، ولكنه عالج كثيراً من المناحى الشعرية الأخرى ، وبخاصة شعر الطبيعة والشعر

الاجتماعى والشعر الفلسفى ، وله فى هذا الديوان قصائد عدّة رصينة السبك ، ومن نماذج شعره فى الطبيعة قصيدته اللطيفة عن « زهرة الفلّ » التى جاء فيها :

زهرةٌ كالأملِ الحلوِ وأحلى ... تسكر النفس وتودى بالشجنْ
هاتها ألهو بها أو أتسلّى ... عن هوى أهفو اليه وأحنّْ

ثم قال فى نبض قوى :

زهرةٌ تبسم عن ثغر رقيقْ ... سكن الحسنُ بطيات لمَاها
هاتِها يا صاحِ ! إنى لا أطيقْ ... أنْ أراها ثم لا ألثم فاها !

كما تغنى أيضاً بأحداث الطبيعة فى قطعتيه « الشجرة الذابلة » و « حديقتنا » ، وناجى الحمامة فى شعر حديث ، وتحدث أيضاً عن مظاهر الريف — وبهذا يسجل ديوانه الأول اتساع أفقه الشعرى واستعداده الفطرى المطبوع ، ولا شك فى أن آيات ذلك تجلت فى قصائده الجديدة التى نشرها « بالأهرام » و « أبولو » و « بالرسالة » من مثل قصائده « ليلة الزورق » و « وداع الشاطىء » و « الملاك النائم » — وقصائده الأخرى التى لم تنشر والتى سيزين بها صدر « الامام » والمجلات الأخرى مثل قصيدة « الشمس الجديدة » و « صخرة الملتقى » و « البحر » وغيرها من القصائد ، وكلها لاقت اعجاب أصدقائه وعارفيه وقارئيه .

ولعلى بعد هذا البيان الموجز أكون قد نبهت تنبيهاً بدائياً الى نفسية هذا الشاعر الشاب فى باكورته ، وإن كنت لم أتناول شاعريته الا عرضاً للتدليل على مزاجه وروحه المتفائل ، وانى أحب أن يتناول الشباب الحديث بالدرس هذه الشاعرية المطبوعة فى ديوانه المنشور وفى قصائده التى ينشرها على الناس فى فترات الفراغ ؟

مصطفى عبد اللطيف السحرتى

نشرة الاتحاد الدولى

للرسم والتربية الفنية والفنون العملية

العدد الأول من السنة الثانية — تصدر ثلاث مرات فى السنة — الاشتراك السنوى ١٥٠ مليماً — الادارة بشارع الكوة رقم ١٣ بالظاهر بالقاهرة

بين الفنون المختلفة وشائج عميقة لا شك فيها ، وهذا ما يدعونى الى التنويه

بهذه النشرة التى أعتقد أنها بين ما يستأهل مطالعة الشعراء وعنايتهم . وفى هذا العدد الذى بين يدىّ (وهو واقع فى ٣٢ صفحة من حجم «أبولو» ومطبوعٌ طبعاً فخماً بمطبعة الاعتماد بالقاهرة) موضوعات فنية شتى كلها جمال وطرافة مثل باب بدائع الفن من تصوير ونحت ، وتربية عادة الابتداع فى الرسم ، وخيال الأطفال ، ونحو ذلك .

وقسم « بدائع الفن » فى هذه النشرة مما يهمّ الشعراء بصفة خاصة وخصوصاً مَنْ يحفلون بشعر التصوير . خُذْ مثلا صورة « اللاقطات » Les Glaneuses من عمل الفنّان الفرنسى ميليه فى القرن التاسع عشر ، فالمحرر يشرح هذه الصورة البديعة بقوله : (تريك هذه الصورة ثلاث نساء يجمعن ما تخلف بعد الحصيد من سنابل القمح ليقتتن به . وانك لترى على سيماهنّ مخايل الصبر واحتمال المشاقّ فى سبيل العيش وسدّ العوز ، تلك الفضيلة التى لن تراها بأجلى مظاهرها فى غير طبقة الزراع . نشأ ميليه زارعاً ملماً بأعمال الزراع دارساً لطبائعهم ، عالماً بنفسيتهم وشعورهم عارفاً لآلامهم وأحزانهم . يرى الجمال فى تمثيل الطبيعة الوادعة غير المتكلفة ، تستهويه موضوعاتها الحزينة فينقلها عن فهم وخبرة ، فقد كتب مرة الى صديق له يقول : « انى لا تستهوينى نواحى الحياة السارة ولا مشاهدها المفرحة فانى لا أعرفها ولم يسبق لى أن عرفتها فى حياتى » ، وربما كان له العذرُ فى ذلك فانه ظلّ طول حياته معدماً ، وقد كان فى بعض الأيام لا يجد ما يتبلغ به . ومن الغريب أن صُوَرَهُ التى كان يبيعها بثمن بخس دراهم معدودة تُقدَّر الآن بمئات الآلاف من الفرنكات . وقد أُهديتْ هذه الصورة الى متحف اللوفر بباريس سنة ١٨٨١ م . وهى به الى الآن) .

وقد استوحى هذه الصورة من قبل الدكتور أبو شادى (راجع قصيدة « جامعات الجُزاز » فى ديوان « أشعة وظلال » ص ٣٣) وفيها يقول عن أولئك اللاقطات :

يَجمعْنهُ فى زَهوهِنّ كأنّه ... أولَى بأنْ يُختَصّ بالتكليلِ
وَحَنَيْنَ راضيةَ الظهور بلا وَنًى ... فى حينِ لا تُحْنَى لغيرِ جليلِ
وحَرَصْنَ على مُلاءةٍ فى حفظهِ ... حِرْصَ المُضيفِ على حياةِ نزيلِ
وتَعُدُّهُ سبقانَ نبتٍ ميّتٍ ... وَعَدَدْنَهُ أثراً لرُوحِ نبيلِ!

ولا يسعنى الا تهنئة مكتب القاهرة للاتحاد الدولى للرسم والتربية الفنية والفنون العملية على مواظبته على إخراج هذه النشرة النفيسة ، ولعلّ ازدياد الاقبال عليها فى المستقبل مما يساعد على الاكثار من إصدارها ليزداد الانتفاعُ بها ؟

محمد عبد الغفور

فحول الشعراء

يجمع دواوين : الفرزدق ، النابغة الذبيانى ، جميل بثينة ، ذو الرمة ، أمية ابن أبى الصلت فى ٥٢٠ صفحة بحجم ٢٢ × ١٥ سم . عُنيت بنشره المكتبة الأهلية فى بيروت . الثمن ١٥٠ مليماً

لقد أحسنت ادارة المكتبة الأهلية فى بيروت الى الأدب العربى إحساناً جميلاً خالداً بجمعها درره اللامعة وطبعها ونشرها بين الأدباء ، وهذا الكتاب الجامع لشعراء خلدت آثارهم هو أحد تلك المآثر التى قدمتها هذه المكتبة ، وقد عهدت بتنسيق كل ديوان منها ومراجعته وشرح ألفاظه الى أدباء نابهين .

غير أنى وجدت أن ديوان الفرزدق لم يضم بعض قصائده كقصيدتيه فى هجو جرير التى يقول فى مطلع احداها :

ألا استهزأت منى سويدة أن رأت أسيراً يدانى خَطْوَهُ حلقُ الحِجل

وفى مطلع الأخرى :

إن الذى سمك السماء بنى لنا بيتاً دعائمه أعزّ وأطولُ

كما ورد بيته المشهور :

والشيبُ ينهض فى السواد كأنّه ليلٌ يصيح بجانبيه نهارُ

مفرداً فى الديوان بدون البيت الذى يسبقه وهو :

قالت : وكيف يميل مثلك للصِّبا وعليك من سِمَةِ الحليم وقار

ولم يذكر فى الديوان الاكتفاء بقصائد دون قصائد كما ذكر ذلك فى مقدمة

ديوان ذى الرمة حيث قال جامعه إنه اقتصر فيه على ما هو أكثر نفعاً وأرق أسلوباً وألفاظاً ، على أنى أرى أن من الفائدة جمع هذه الاشعار برمتها لتكون أثراً جامعاً للشاعر .

وما لحظتُه فى ديوان الفرزدق من ترك قصائد لحظتُه فى ديوان أمية فقد تركت قصيدته التى يقول فيها :

يا نفسُ ما لكِ بعد الله من واقِ وما على حدثانِ الدهرِ من راقِ

ووجدتُ فى ديوان النابغة ولاحظتُ تقديماً وتأخيراً فى أبيات بعض القصائد وحذف أبيات من البعض الآخر .

وأرى أنه كان من الواجب أن تنشر الروايات المختلفة التى وردت فى بعض الأبيات فان فى ذلك فائدة عظيمة .

ولعلّ ناشرى هذه الدواوين يتتبعون ذلك فى الدواوين الأخرى التى يقومون باخراجها أو فى الطبعات الجديدة للدواوين التى قاموا بنشرها ليكون كلُّ ديوان شاملاً لشعر الشاعر فى مختلف مراثيه .

هبة الأيام

فيما يتعلق بأبى تمّام

تأليف الشيخ يوسف البديعى من علماء القرن الحادى عشر — ٣١١ صفحة بحجم ½ ٢٣ × ½ ١٥ سم . طبع بمطبعة العلوم بالقاهرة . الثمن ١٥٠ مليماً

قام الأستاذ الفاضل محمود مصطفى أستاذ الأدب بكلية اللغة العربية احدى كليات الجامعة الأزهرية بنشر هذا الكتاب النفيس الذى ألّفه قاضى الموصل يوسف البديعى المتوفى سنة ١٠١٣ مؤلف كتاب « الصبح المنبى عن حيثية المتنبى » الذى يعتبر من أنفس ما كُتب عن هذا الشاعر . وقد قام الأستاذ الفاضل بتعليق الحواشى على كتاب « هبة الأيام » مع الشرح والنقد وتحليل ما ورد به من شخصيات والافاضة فيما أُشير اليه من تاريخ وأدب ، وقام بضبط الشعر المروىّ

والمفاضلة بين رواياته . وقد حدا به الى إخراج هذا الأثر النفيس من محفوظات دار الكتب المصرية أنه رأى أن طريقة المؤلف فى كتابه هذا وفى كتابه عن المتنبى « هى الطريقة المثلى فى دراسة الأدب القديم التى يتفق فيها القارىء بين أفنان القول ويستجلى من أنوار الأدب ما اختلفت ألوانه ويتشمَّم من عبيره ما تنافست فى الطيب نفحاته ، فهو ينتقل بالقارىء من خبر مستطرف الى معنى مستظرف » فالمؤلف قد بنى كلامه فى هذا الكتاب « على شرح لحياة الشاعر الخالد أبى تمَّام ، فعرض على القارىء برداً يمانياً كثير الطرائق مطرز الحواشى » .

ولننقل للقارىء صورتين من هذا الكتاب احداهما للمؤلف والأخرى للناشر يناقش الثانى فيها الأول فى فهم معنى « غيور » فى قول أبى تمام :

لئن أرقأ الدمع الغيور وقد جرى لقد رويت منه خدودٌ نواعمُ

فالمؤلف يقول: « ولما ولى ابن أبى دؤاد المظالم قال أبو تمام يمدحه ويتظلم اليه:

ألم يأنِ أن تُروَى الظماء الحوائمُ وأن ينظم الشملَ المبدَّدَ ناظمُ ؟
لئن أرقأ الدمعَ الغيورُ وقد جرى لقد رويتْ منه خدودٌ نواعمُ
كما كاد ينسى عهد ظمياء باللوى ولكن أملّته عليه الحمائمُ

يقول لئن أرقأ دموع أحبتنا مخافة الرقيب الغيور لقد رويت خدود الأحبة من الدمع . وظمياء اسم جارية . يقول نسيت هذه الجوارى عهدنا كما كدت أنسى عهد هذه الجارية حين سمعت الحمائم تترنم فذكرنى الهوى وأملت علىّ ما كنت نسيته فحفظته » .

ويقول الناشر فى مناقشة المؤلف : « فهم المؤلف « الغيور » بمعنى الرقيب فاضطرب عليه المعنى لأنه جعل الباكى فى الحالين من الحبائب ثم جعل فاعل ينسى فى البيت الذى بعده للمحب ولم يتقدم له ذكر ، ولكننا نفسر تفسيراً آخر يتفق ومنهج الشعراء فى كلامهم ويساوق لفظ الأبيات من غير حاجة الى تأوّل أو تعسف فنقول الغيور هنا المحب ولا تكون الغيرة الا نتيجة لشدة الحب وتناهى الكلف ، وأرقأ الدمع رد غربه ، وأمل الكتاب أملاه . والمعنى إن ارعوى المحب عن البكاء فان المحبوبة بكت طويلا حتى ارتوت خدودها الناعمة فكان ذلك أدعى لشدة تعلقه بها كما كاد ينسى عهد تلك المحبوبة المسماة ظمياء ، ولكن بكاء الحمام ذكره بالحب وأملى عليه ما كان نسيه وحاول التخلص منه » .

هذا النموذج من الكتاب يدلّ على دقته تأليفاً وتعليقاً ، مما يهيء له مكانته فى نفوس القراء ومما يشجع على ابراز مجلس الأدب العربى مجلوة فى مثل هذا الثوب القشيب من الدقة فى البحث والاستقصاء ؟

حسن كامل الصيرفى

الحديقة

مجموعة أدبٍ بارعٍ وحكمةٍ بليغةٍ وتهذيبٍ قوميٍّ ، جمعها ووقف على طبعها محب الدين الخطيب ، الجزء الثانى عشر ، ٢٨٨ صفحة بحجم ١٦ × ١٠½ سم . طبعت بالمطبعة السلفية بشارع اللبودية (درب الجماميز) بالقاهرة . الثمن خمسون مليماً

صدر حديثاً الجزء الثانى عشر من هذه المجموعة الأدبية التى تؤلف « مكتبة الجيب» وهى جامعةٌ للكثير من طرائف الأدب والحكمة نثراً ونظماً من أقلام المشهورين وغير المشهورين ، فهى مكتبةٌ مدرسيةٌ تهذيبيةٌ من الطراز الأول . وجامعها الفاضل من أشهر أدباء العربية ومن أعلام المسلمين المصلحين ومن أخلص أنصار العروبة . ومَنْ منا ينسى جهوده فى مجلة (الزهراء) الأدبية وفى مجلة (الفتح) الاسلامية وسعيه لتأسيس حركة (جمعية الشبان المسلمين) ؟ ولا عجب بعد هذا إذا أجرى إهداءه لهذا الجزء من الحديقة بالسطور الآتية :

« من أهم ما يحتاجُ اليه الناطقون بالضاد فى حياتهم الأدبية والقومية أن يكون لمفاخرهم ديوانٌ شعريٌّ عظيم يتغنى بأمجادهم ويترجم عن مواطن العظمة فى يومى سعدهم وبؤسهم وفى موقف نصرهم وانكسارهم وفى صفحات استعمارهم بلاد الناس واستعمار الناس بلادهم . إن العظمة التى واجهها هوميروس لما نظم الالياذة ، أو التى واجهها الفردوسىُّ عند ما نظم الشاهنامة ، لا تعدُّ شيئاً مذكوراً فى جانب العظمة التى يواجهها الشاعر العربى البليغ اذا أراد أن يدوّن صفحات العظمة والمجد فى تاريخ العرب والاسلام . ولقد كنت حريصاً على أن يكون هذا العملُ المجيدُ من نصيب أمير الشعراء شوقى ، وسعينا لذلك أكثر من مرة ، ولكننا أردنا وأراد الله غير الذى

أردنا ، لأنه ادّخر هـذه المأثرة الكبرى لشاعر آخر لايزال اسمه محجوباً عنا وراء سُجف الغيب . فالى الشاعر الذى اختاره الله لكتابة إلياذة العرب أهدى هذا الجزء من حديقتى » .

والكتابُ جامعٌ حقيقةً لأزهار ورياحين كثيرة متنوّعة الألوان والعبير ، ونصيبُ الشعر منها غيرُ يسير . وأقول فى اخلاص إنّ « مكتبة الجيب » هى مكتبةُ المدرسة أيضاً ، وانها قمينةٌ بالذّيوع بين طلبة المدارس الثانوية وطالباتها فى العالم العربى ، فما أعرف أفضلَ منها مجموعةً للتدريب على الانشاء المهذّب وعلى بثّ روح الفضيلة العربية وما ثر التاريخ الاسلامى . ولعلّ من خير ما تضمنته من الشعر هذه المقطوعة بعنوان « شاعر متعفّف » وهى من نظم شاعر مصر الشهير أحمد محرّم . قال لا قُضّ فوه :

أيربُ عينَكَ أن ترانى كالذى ... سقطَ الجرادُ فغالَ ناضرَ غَرسِهِ؟
أو كالذى صحبَ السنينَ ، فبعضُهُ ... عانى الحياةِ ، وبعضُهُ فى رَمْسِهِ ؟
ما ذا تظنّ بشاعرٍ متعفّفٍ ... لا يَسْتعزُّ بأمةٍ من جنسِهِ ؟
المرءُ يُسألُ عن عوارفِ علمِهِ ... وأراهُ يُسْألُ هاهُنا عن فَلسِهِ
أرنى أديباً صافحتْ يدَهُ الغِنَى ... أوْ فاضلاً صَدَقتْ أمانى نفسِهِ
إصبرْ إذا دارَ الزّمانُ بسيّءٍ ... فعساه يوماً أن يدورَ بعكسِهِ
لو أنّ دهرَكَ دامَ طالعُ سَعْدِهِ ... فى العالمين لدامَ رائعُ لحمسِهِ

وقد اعتادت المطبعةُ السلفيّةُ ومكتبتُها أن تُصدر سنوياً جزءاً أو جزءين من « مكتبة الجيب » هذه ، وما من شكّ فى أنها أهلٌ للتشجيع الكبير من المعاهد الدراسية خاصةً ومن الأدباء عامةً ؟

زينب الرّوبى

نقد وتعليقات

فى الشعر الجديد

زعمَ أحدُ شعراء الشباب فى جريدة (الوادى) أنّ أقصوصتنا الشعرية الاجتماعية (عبده بك) هى أقصوصة غثة عديمة القيمة. فأما عن قيمتها التهذيبية فى دائرتها الاجتماعية فغيرُ خافية على أىّ منصف، وقد أشار الى ذلك غيرُ واحد من النقّاد المستقلين وأما قيمتها الفنية فى ترويض الشعر العصرى على الذوق المصرى الصرف فى أسلوب كلامى عرفه النثرُ الحديثُ وما زال يحرّمُهُ النظمُ بسبب تهيُّب الشعراء، كأنما حتم عليهم أن يكونوا مقلدين للأساليب القديمة وللروح الكلاسيكية، وكأنما محرّم عليهم أن يأتوا بشىء من الفصص الشعبىّ كما فعلنا فى هذا النموذج، فان فعلوا تعرّضوا لأمثال هذه النعوت المنتقصة التى تُكال لنا!

ومتى يؤمن الشعراء بأنّ الفن يجب أن يكون خالصاً للدواعى الفنية واعتبارها، لا راضخاً لدكتاتورية النقاد ولا لأهواء الجمهور؟ ومتى يقدّر النقّاد أن عناية الشاعر بالأدب الشعبى مرةً أو مرات ليس معناها عجزه عن الشعر الانسانى العالى أو عدم حفاوته به، فان نفسية الفنان تتطلب التنويع، كما أن الفنان ينظر الى جميع آثاره كوحدة كبرى.

وزعم حفظه الله أننا من الداعين الى عبادة الأصنام وأننا بين هذه الأصنام، ولسانُ الانصاف يقول إنه لا يوجد أديبٌ حاربَ هذه العادةَ المرذولةَ فى مصر كما حاربناها، وأننا نؤثر دائماً أن نكون عاملين كالجندىّ المجهول فى الجيش الزاحف حتى ولو حملنا له العلَمَ.

ثم حار جنابُه فى كثرة تآليفنا وإنتاجنا وأن يخلقَ كلُّ هذا مدرسةً جديدةً تُعنى بأدبنا وأدب زملائنا ودراسته، وأن يكون لنا نصيبٌ وافرٌ من النقد الفنى المستقلّ، وأن تنشأ من تواليفنا مكتبةٌ أدبيةٌ مستقلةٌ كما قال الكاتب الناقد أحمد الصاوى محمد — حار من كلّ هذا ومن التآزر الأدبى والفكرى بيننا وبين مريدينا وتحمسهم لأدبنا، فراح يطعن فى ذوقهم وذوقنا وراح يدّعى أننا من أهل الرأسمالية

الذين يشترون الأمداح ، الى آخر هذا الهذر ! ولو كان عقلهُ فى رأسه لفهم ظروفنا المالية القاسية ولأدرك أننا من أبعد الناس عن الرأسمالية وأننا لم نعرفها فى حياتنا بل اننا عشنا دائماً عيشة الاستقلال والكفاح فى شبهِ عصاميةٍ . وبديهىٌّ أن كلَّ هذا التهجُّم علينا ليس من النقد الفنى فى شىء ، فاذا ما استحال الى شىء من ذلك القبيل رأينا صاحبنا ينتقد بيتاً فى قصيدة « الربّات الراقصات » (أبولو ، م ٢ ، ص ٤٩٦) وهى من شعر التصوير الذى لن يفهمه مثلُ صاحبنا الناقد ولو تأمَّل سنين فى الصورة الفنية المصاحبة للقصيدة . وأمَّا البيت الذى ينقده فهو من صميم الصورة فنقده نقد لذوق الفنان المصوِّر وللقصة الميثولوجية ذاتها ، وقد عالجناها فى شعر موسيقى لاغبار عليه ، فقلنا فى أول قصيدتنا :

رقصنَ ، ورقصةُ الربّاتِ معنى ... من الالهامِ يجهله التمنى
تثنّين انسياباً واجتذاباً ... فأنطقن التجاوبَ والتثنى
وغنّينَ الحياةَ جديدَ لحنٍ ... فصيّرنَ الحياةَ جديدَ لحْنِ
وقد ركعَ الاله (خنومُ) عبداً ... يُطبِّل والجمالُ له يغنى
تراه شبيهَ مذهولٍ قريرٍ ... على ظنٍّ يداعبهُ وظنّ

والشاهد النقدى فى البيت الرابع ، أمّا النقد الذى يريده فلم يستطع أن يلفظ به والصورة الفنية المصاحبةُ للقصيدة تردُّ كلَّ نقدٍ من هذا القبيل عن هذا الشعر الدقيق الصادق . وألفاظه هى ما يتطلَّبها الموقف تماماً وليس فيها ما يُعاب الاّ فى عُرف أهل النعومة المتحذلقين ولو أفسدوا الفنَّ افساداً بالمداورة والتصنّع اللفظى .

* * *

نقـد الشفق الباكى

ثم يتّجه النقدُ إلى ديوان (الشفق الباكى) ولكنه نقدٌ غير رفيع ولا فن فيه ، ومع ذلك فلنمتحنه فلعلنا نستفيد منه بعض الفائدة ، ولعلنا نفيد بالتعليق عليه .

يرى الناقدُ الفاضلُ أن قصيدة « النهضة إرادة » — اولى قصائد الديوان — خربة أو أن مطلعها خراب ، ويُسْرف فى انتحال الأسباب والتفاسير ! ونرى من

الواجب نشر القصيدة المنتقَدة ثم نعلق على هذا النقد ليعرف القراء ذوقَ الناقد الذى يقال إنه يعبر عن رأى فريق من الأدباء السكندريين . واليك نصّ القصيدة :

وطنى ! الحسْنِكَ ما نظمتُ جواهرا ... وبفضلِ وحيِكَ أن أعَدَّ الشاعرا
أسقيتُ فيكَ هوايَ منذ طفولتى ... وخلقتَ وجدانى هُدًى وماآثرا
وشقيتُ من حُبى فكنتَ مُعللى ... ونقمتُ من جبلى فكنتَ الغافرا
فعلىَّ حقٌّ أن أفيـــكَ مبرَّةً ... وأنا الشكورُ وإن لمحتُكَ شاكرا
عهدى : بيانى لن يُسَخَّرَ ضلةً ... للعابثين ولن تكون الخاسرا
أبداً يرفُّ بحكمةٍ وبرحمةٍ ... تَهدى الأنامَ ولا تخيِّبُ عاثرا
وأظلُّ أدأبُ فى سبيلك ناشراً ... مَوْنى الارادةِ مُسْعِفاً ومحرِّرا
والناقدون بلفظهم وبنحوهم ... يلهون لا يدرون حِسّاً قادرا
والشاعرون ينمّقون بيوتَهُم ... عَبَثاً ، فلا يُحيون بيتاً عامرا
جهلوا الحياةَ بأصلها وبحالها ... فتسابقوا وهماً يُميت الخـــاطرا
ولو انهم درسوا الحياةَ حقيقةً ... وصفوا الحياةَ نتيجةً وعناصرا

* * *

وطنى ! صفحتُ عن الهنات كثيرةً ... أمّا الارادة فهى تخلقُ كابرا
والشعْبُ إن تخذَ الارادةَ عُمدةً ... قتَلَ الزّمانَ إذا تهجَّمَ صابرا
الجهلُ أوْلى أن يكون شِعَارَنا ... من أن يُضيعَ العلمُ حزماً وافرا !
فاذا التمستَ من الارادةِ قوةً ... فلقد كُفيتَ مَدافعاً وذخائرا
وبنيتَ بالصبْرِ الحصينِ معاقلاً ... ورفعتَ من أسِّ الثباتِ منابرَا
اوسخرتَ حولك بالصعاب تدوسها ... حتى تهون فلا تردّك صاغر
ليس الحماسةُ غير مبـــدأ نهضةٍ ... أمّا الارادةُ فهى زادُك آخرا

هذه هى القصيدة التى تحاشَى الناقدُ أن ينشرها كاملة — برغم إيجازها — حتى لا يشعر القراء بوحدتها الفنيةوبارتباط أبياتها ومعانيها وبروحها الوجدانية الوطنية

الشاملة ، ثم أخذ بعد ذلك يتلاعب بمرامى ألفاظها ذلك التلاعب الذى لا يصعب على أىّ متنطّعٍ أن يشوّه به جمال أى شعر ، ولكنه تشويه لا ينطلى إلا على السطحيين .

فهل صحيحٌ مثلاً أن الشاعر الذى يعترف بفضل جمال وطنه ووحيه على شاعريته لا وطنية عنده وانما يُعنى بجمال الوطن فقط ؟ أرأيت مغالطة أبعد من هذه ؟ أليس البيت الثانى متمماً ومفسراً للبيت الأول ؟ وهل صحيح أن كلمة « الشاعر » تعنى أنه لا شاعر غير صاحب الديوان فى مصر ؟! وهل يوجد أديبٌ متذوّقٌ للشعر العصرى يحتم قصر كلمة «الوحى» على الالهام الربانى ؟! وهل استعمال كلمة « أُعِدُّ » فى مطلع القصيدةِ معيبٌ حينما الشاعرُ يريد أن ينسب مواهبه الشعرية الى جمال وطنه ومحبته الموحية اليه ؟ أهذه وداعة أم غرور كما يقول حضرة الناقد ؟ وهل الناقد الذى يجهل أو يتجاهل سيرة الشاعر منذ صباه يجوز له أن يسخر من مثل هذا البيت :

وشقيتُ من حبى فكنتَ معللى ونقمتُ من جيلى فكنتَ الغافرا

مع أنه لو ألمَّ بترجمة حياته لما وجد أىّ مجال للحيرة ؟ فهل له أن يفهم الآن قيمة الدراسات النقدية والشروح للشعر من مُريدى الشاعر ؟

ويعجب ناقدنا العزيز من عدم ظهور الفتحة بعد «أن» على الفعل فى قولنا :

فعلىّ حقٌّ أن أفيكَ مبرّةً وأنا الشكورُ وإن لحتُكَ شاكراً

مع أن شواهد ذلك كثيرةٌ فى الشعر ، لأنّ (أن) هنا مهملة حملاً على المصدرية ومن أشهر الشواهد على ذلك قول ابن الدمينة (١)

ولى كبدٌ مقروحةٌ مَنْ يَبيعنى بها كبداً ليستْ بذاتِ قروحِ

أبى الناسُ ـ ويحَ الناس ! ـ أن يشترونها ومَنْ يشترى ذا علةٍ بصحيح ؟ !

وهل يأثم مَنْ يشكر لوطنه بِرّه به ، وإن وجَدَ هذا الوطن شاكراً له وفاءه ؟ ! وهل مَنْ يعبر هذا التعبير يستحق أن يوصف فى الصفحة الأدبية لجريدة محترمة (كالوادى) بأنّ مِن طبعه « عدم العرفان بالجميل واللؤم ... » (كذا) ؟! وأين الخطأُ اللغوىّ فى استعمال كلمة « لمحَ » يا هذا وهى تُشعر بأنّ مجرد النظرة الخفيفة كافية لتبين شكران الوطن لوفاء الشاعر ؟ أرأيتَ مبلغ عجزك فى البيان بالرغم من أساليبك العتيقة فى النقد ؟

---

(١) أنظر كتاب (الضرائر) للألوسىّ ص٢٧٤

لو تلففتَ فى كساء الكسائى وتفرّيتَ فروةَ الفرّاء

لأبى اللهُ أن يعدَّك أهلُ الـ ـعلم الاّ من جملةِ الاغبياء !

ثم ماذا ؟ ثم تشاء بطولةُ الناقد أن يزجّ بنا فى ميدان السياسة مدّعياً أننا كنا بمدح سياسة اسماعيل صدقى باشا ، وهذا من التزوير بمكان : فليست لنا بدولة صدقى باشا غير علاقة مودة عائلية قديمة كما أن لنا نفس هذه العلاقة بدولة النحاس باشا وبدولة زيور باشا وبالمغفور له سعد زغلول باشا . وليرجع القراء الى ما كتبناه فى هذا الشأن بعدد اكتوبر سنة ١٩٣٤ فى مجال الكلام عن « الشعر والسياسة » (ص٢٧٦) وما نشرته مجلة (الامام) فى عددها المؤرخ ١٥ أكتوبر الفائت ، ولعلّ فى ذلك الكفاية لصفع هذا المتخرّص وأمثاله من المتاجرين بالوطنية على حسابنا . ولا ندرى لماذا لا يحاسب هذا المضلّلُ دولةَ النحاس باشا مثلاً على امتداحه لدولة محمد محمود باشا بعد ما صدر من الأخير ضدّه وضدّ الحياة الدستورية منذ سبع سنين مما لا تزال له عواقبُ ... ولكن ما لنا وللسياسة ، قاتلها الله ! أمّا نحن فلم تُعرَف عنا كلمةٌ واحدةٌ ضدّ الوفد ولا ضدّ الديمقراطية المصرية ، بل على العكس ليست لنا الا وجهةٌ قوميةٌ خالصةٌ تأبى أن تحلط بين الأدب والعلم والسياسة ، وحسبنا ما اخترناه من ميادين لخدمة وطننا . فهل من النبل مثل هذا التشكيك فينا والتحامل علينا وعلى كلّ مَن يأبى أن يكون آلة من آلات السياسة ؟

ولنعدْ الى النقد الأدبى الذى يتبرع به صاحبنا فهو لا ترضيه كلمة « ترفّ » فى البيت السادس مع أنها تشعر بالحياة فى ذلك الشعر ؛ فانّ « رفّ » هنا بمعنى « لمع » ، وغير صحيح أن هذه الكلمة مقصورة على الطائر !

ويستنكر الناقدُ مرةً أخرى إدخالَ أداة التعريف على كلمة « الخامر » ، فى حين أنّ الخطاب بين اثنين والسياقُ يدعو الى ذلك ، كما يستنكر قولنا « تَهدى الأيامَ ولا تخيِّب عاثراً » فيقول خيّبهُ الله انّ معنى ذلك أنها تساعد العاثر على عثرته ! ومثل هذا الفهم لا يفهمه الاّ كلُّ ذهنٍ مريضٍ ، فكلمة « خيَّبَ » معناها لم ينله مطلوبه . وهل مطلوب العاثر زيادة عثرته أم إقالته يا حضرة الناقد الحصيف ؟

وأما عن استنكارنا من قديم عبثَ النقاد اللفظى فأمرٌ يبرّره الواقع الى الآن ، وحسبنا مثال ناقدنا الفاضل الذى تفسح له جريده (الوادى) صفحتها الأدبية

بارتياح عظيم ، كذلك استنكارنا لشعراء التنميق والعبث وإن لم يبلغ حضرة الناقد حتى منزلة هؤلاء .

ولا يستطيع صاحبنا أن يفهم العبرة النفسية من قصيدة « النهضة إرادة » فيروح يملأ أنهار (الوادى) بعجائب اعتراضاته على ما يجهله . لا يفهم صاحبنا أن فقدان « الارادة » الشعبية هى كبرى المصائب ، فالهنات والعيوب الكثيرة تحتمل وتغتفر وأما ضياع تلك « الارادة » الشعبية للنهضة فمعناه الانتحار ، ولا قيمة للعلم بجانب ذلك الانحلال .

وينتقد صاحبنا الجاهل باللغة استعمالنا كلمة « أضاع » ويؤثر عليها كلمة « ضيّع » مع أن كلتيهما مستعملة فى لغة التخاطب وفى لغة الكتابة ، ولا معنى لهذه الحنبلية . وأنى لمثله أن يعرف قول العرجى :

أضاعونى وأىّ فتى أضاعوا ليوم كريهةٍ وسدادِ ثغرِ !

ويُزهى ناقدنا الهمام بعثراته هذه فينتقل الى نقد مقطوعة « اضطهاد الرأى » ، واليك نصّها :

أسفى على عهدٍ به يَجْنى الجبانُ على الجريحْ
ويَسومُه أقسى الهوا نِ فيُقتلُ الخلقُ الصحيحْ
باسمِ السياسةِ حُلِّلَ الـ إجرامُ والعيشُ القبيحْ
حتى تَبرَّأ كلُّ ذى فضلٍ من الفضلِ الصَّريحْ
كيما يَصونَ حياتَه كيما يُرِيحَ ويَستريحْ
أسفى على عهدٍ به إنكارُ بطرس للمسيحْ[1] !

وصاحبنا الواهم المغرور يقول إنه كان الأولى بنا تغيير القافية حتى نقول بدل ذلك :

أسفى على عهـــــدٍ به يَطْغَى القوىُّ على الضعيفْ

---

(١) تظاهر الرسول بطرس بانكار علاقته بالسيد المسيح اتقاء للاضطهاد ، وقد نُظِمَتْ هذه الأبيات لمناسبة «الحركة الانكارية» الاضطهادية فى أوائل سنة ١٩٢٥

أو :

أسفى على عهـــــدٍ به يجنى الكبيرُ على الصغيرْ

أو ابقاءها مع القول :

أســـفى على زمنٍ به يجنى الطغـــاةُ على الصريحْ

ولو أنه راجعَ حوادث سنة ١٩٢٥ الاضطهادية لأغنته عن شروحٍ لا يسمح بها مبدأ هذه المجلة ولما تقدَّم بذلك التعديل السخيف .

ويتهم البيت الثانى بالركاكة وهو نحل نقدى قديم عند العاجزين ، وأما القول بأن الجبان لا يسىء إلى جريح فكلام مردود ، فذلك عين الجُبن وعينُ الجبن فى أساليب السياسة خاصة . وناقدنا الغيور على اللغة يحدثنا فى عباراته المفككة عن النسر « المهاب » ولا نعرف نحن نسراً مهاباً وانما نعرف النسر « المهيب » أيها المعلم ! وقد شبهنا سعد زغلول باشا بالسيد المسيح ، وشبهنا أحد كبار رجالات الأمة الذين اضطرّوا الى التخلى عن الزعيم الأكبر بالرسول بطرس ، ولكن ناقدنا الهمام لم يفهم شيئاً من هذا ، أو سمحت له ذمته النقية بالمغالطات الفاحشة متجاهلاً شعر ديوان « الشعلة » وفيه ما فيه من الدفاع الحار عن الديمقراطية كما فيه ما فيه من المؤاخذة لدولة صدقى باشا فى حدود النصيحة القومية الخالصة يوم كانت لدولته ثائرة على الزعماء ـ أنظر قصيدة « الزعامة » ص ١٠٧ من ديوان « الشعلة » الذى صدر فى عهد حكمه وفيها نقول :

إنَّ الزعامةَ للتداوُل دائماً ومِنَ الرجاحةِ أن نُذيعَ صلاحَها

يتراشقُ الزعماءُ ، لكنْ فى غدٍ يتصافحون ويطلبون سماحَها

فكنْ الجرىءَ وللمروءةِ صافحاً وكنْ الزعيمَ مبدّداً أتراحَها

يتناوبُ الزعماءُ فضلَ قيادةٍ لكنْ تضافرُهمْ يُعزّ سلاحَها

ليس التآلُفُ غيرَ برءِ جراحِها حين التحزُّبُ يستثير جِراحَها

فهل هذه أبياتُ رجلٍ متحزّبٍ لصدقى باشا أم صيحةُ وَطنىٍّ غيورٍ على الكرامة القومية والوحدة الوطنية وعلى كرامة الزعماء جميعاً أيها المزوّرون ؟ !

وهل جرأ شاعرٌ آخر على أن يؤاخذ صدقى باشا على حزبيته وتحامله كما

آخذناه نحن وهو فى إبّان مجده وسطوته ؟ ! ولكنكم تعدّون من أسمى الفضائل أن لا تعرفوا الخجل ، فمن العبث كلّ العبث أن نناقشكم مناقشة جدية يا أقطاب التلفيق !

« • »

يدّعى بعضُ المتطفلين على النقد أن أروعَ الشعر هو الشعر الذى يوحيه الشرابُ وأن الخمر من أهم ملهمات الشعر ، وغالى أحدُ المتحاملين منذ سنوات فزعم أن صاحب (الشفق الباكى) أبعدُ الناس عن الشعر لأنه بعيدٌ عن الخمر ! فكان هذا الحادث موحياً لمقطوعة «الخمر والشعر» فى ديوان (الشفق الباكى) — ص ٩٠ — التى يدّعى ناقدنا المتحمس انه لم يفهمها وأن لديه جائزة ثمينة لمن يفسر له معناها ... ولو أكبَّ هو وصحبُه على دراسة ما ينقدونه وظروفه وملابساته قبل التورّط فى النقد (وهو الذى يجب أن يكون آخر مراحل الأدب بدل أن يكون أوّلها) لأنصفوا النقد وأنصفوا أنفسهم وغيرهم ، ولكن ما الحيلة ومعظم صحفنا الأدبية تضع أنهارها تحت تصرف كل ناقدٍ بغضِّ النظر عن مؤهلاته حتى أصبح كل من يحمل اليراعة يتخيل أنه سينتسبرى أو أناتول فرانس ؟ !

ومن العجيب أن ينكر علينا ناقدنا المتحذلق بعض كلمات تجرى فى شعرنا ويشاركنا غير واحد من الشعراء والكتاب فى استعمالها ، وهذا ما ينتظر ممن يبحث عن القشور دون اللباب . والأسخفُ من هذا أن ينكر علينا قولنا «الأمّ الطبيعة» بحجة أن هذا تعبير انجليزى كأنما هذا ينفى انسانيته ! ويقضى التمادى فى السخف أن يقول صاحبنا هذا إن كثيراً من كلماتنا مما استعمله شاعر انجليزى ويسمى هذا سطواً ، كأنما الرجل الذى يستوعب الأدبَ الانجليزى ويعيش فى انجلترا أحد عشر عاماً ويحرر مجلةً فيها مُحرَّمٌ عليه أن يجمع بين الذوق العربى والذوق الانجليزى فى التعبير ! وانّ من الواجب اغفال ذكر (الطبيعة) من شعرنا بالغاً ما بلغ حبُّنا لها حتى نبرهن له ولأمثاله أننا غيرُ متصنعين !

ويعجب صاحبنا كيف يستمد الشاعر شعره «من كلّ ما يدريه» أى من تجاربه ومعارفه وشؤون الحياة جمعاء ، ولا نعرف وجهاً للعجب إلا أن يكون الشعر عند ناقدنا وصحبه صناعة كتابية فحسب ! ولكن المسألة ليست مسألة عجب ، بل هى مسألة انتقاص رشتيمة باسم الأدب ، ولو فى صحيفةٍ يرعاها أديبٌ كبيرٌ كالدكتور طه حسين ... بيد أننا آثرنا الاكتفاء بمناقشة الآراء الفنية أو شبه الفنية متسامحين

تسامحَ الكرام ازاء الانتقاص والشتيمة ، حتى يرى القراء مبلغَ الوهم والغرور والجهل الذى يدين به أمثال هذا الكاتب ، وكيف تغرر بهم الصحف ثم كيف يغرورن هم بها!

لا نفهم كيف ينصب أىُّ انسانٍ نفسه للنقد الأدبىّ وهو لم ينضج بعد فى ملكاته الأدبية وليس له من الخبرة والاطلاع ما يؤهله لشىء من ذلك ! ثم كيف يُرضيه ضميرُه أن يكون فى موقفِ الحكم وهو من البداية متحيزٌ ضدّ الأديب المنقود ؟ فالعيبُ هنا ليس عيباً أدبياً فقط بل هو عيبٌ خلقى كذلك .

يدّعى هذا الناقد الفاضل أن أبيات « قلم الفنان » (ص ٩١ من « الشفق الباكى ») الموجَّهة الى أستاذنا مطران قد جاءت بعكس ما نريد ويتفنن فى المغالطة شرحاً لأبياتها الناصعة البيان ! وحسبنا أن مطران نفسه قدّرها التقدير الصحيح (انظر رسالته ص ٩٢) فمثله يعرف مدلولات ألفاظنا واشارات شعرنا ، واذا كان يلومنا على شىء فهو لردّنا على مثل هذا العاجز ، ولكننا لا نردّ عليه وحده بل نشمل بردّنا مَنْ يستترون خلفه حتى نُظهر إفلاسَه وإفلاسَهم وحتى نسجل للتاريخ الأدبى صُوَرَ التيارات النقدية السخيفة التى تشجعها الصحف المصرية هدماً للأدباء المستقلين .

معقولٌ أن تتضاربَ الآراء فى الترجمةِ لكثيرٍ من الشعراء المتقدّمين وأن تصدر عن بعض النقاد أحكام نابية فى حقهم نظراً للشقة الواسعة من السنين التى تفصل بينهم ، ولكن من غير الجائز أن يتصدّى للبحث فى كيفية نظمنا أديبٌ يعاصرنا ولا يختلط بنا فيأتى بشروح وأحكام خرافية عجيبة دون أن يستحى ! وهذا ما فعله صاحبُنا الناقد حتى قال سامحه الله إننا نتغزل فى صور الكارت بوستال ونأتى بصورة بيت فنسميه « جنة النحل » ؟! أرأيتَ إسفافاً بعد هذا ؟! ومع ذلك تفسح له جريدةٌ محترمةٌ كجريدة (الوادى) صفحتها الأدبية بملء الترحيب بقدر ما تقفلها فى وجهِ كلِّ مدافعٍ عنا وآخر من أبلغنا ذلك الشاعر أحمد مخيمر !

لسنا نحن أيها الناقد العزيز الذين نلهو بصور « الكارت بوستال » فأنت أدرى منّا بهذا الطراز من الأدباء ، وما مِنْ رسمٍ فنىٍّ عُنينا به الاّ وكانت له كلُّ الجاذبية الفنية لنا وكأنما هو حىٌّ مجسَّمٌ أمامنا يوحى ويُستوحَى ، وملاحظاتك انما هى دليلُ جهلك بمعنى شعر التصوير ، فحبذا لو رجعتَ الى قصيدتنا فى هذا الموضوع

(ص ٢٤ من ديوان « الشعلة ») وأما عن صُورة « جنة النحل » (ص ١٠٦ من الشفق الباكى) فهى تمثل مَشهدين من أجمل مشاهد زيلاندا الجديدة المعدودة جنة النحل ، ولكن ما ذا نقول فى ذكائك الخارق وفى غباوتنا أيها العزيز ؟ ! وأما عن كثرة الانتاج كيفما كان فنحن أبعدُ الناس عن اعتبارها ذات قيمة فى تقدير الأدب والأدباء ، وقد صرّحنا بهذا المعنى تكراراً ، فلا معنى للمغالطة فى ذلك .

وراك وصحبك أيها العزيز تجهلون حتى معانى اللام الجارة التى تأتى فى محل (فى وعنْد وبَعْد) ، ولكن ما ذا نقول والذنب ليس ذنبكم وانما ذنب الصحف التى تغرّر بكم وتغررون بها ؟ ! وماذا نقول فيمن يقرأ مقطوعتنا عن « الله » (ص ١٤٢) فلايدرى مَرجع الضمائر ويتخبط فى تفسيره وهو أجهل الناس بالتصوُّف ومَراميه ؟! وما ذا نقول فيمن يحار لخطبتنا أسطورة « روح الموسيقى » واستحضاره أمامنا وتمثيل ذلك المشهد فى الشعر ؟ وماذا نقول فى مَنْ يرى أسطورة « إلهة الجمال » (ص ١٦٣) وشعرها مثالاً للعجز والسقوط ، والاشباعَ فى حركتين منكرا ، ناسياً النماذج الكثيرة التى من هذا القبيل فى الشعر العربى قديمه وحديثه على السواء ؟ ! وما ذا نقول فيمن يَعيب سياقَ الحديث فى الشعر القصصى ، وهو المجال الطبيعى لسياق الحديث ؟ ! وما ذا نقول فيمن يؤاخذنا لتفسير كلمة « الدَّرَّاجة » وهو يعلم أن غرضنا يلتبس عند من يقرأ قصيدة « راكبة الدرَّاجة » (ص ١٦٦) مِن قرائنا فى بعض الأقطار العربية النائية التى تعرف البسكليت بغير هذا الاسم ؟ وما ذا نقول فيمن يقرأ مستهلَّ هذه القصيدة :

يا غادةً تَركبُ فى خِفَّةٍ محسودةٍ لولا رشيقُ القوامْ !

فيتعثر من فوره ويسحقه الغباء فلا يفهم أنَّ فى البيت اطراءً مزدوجاً : وهو أنَّ خفتها مما يُحسَدُ لولا أنَّ قوامها الرشيق صار أجدر بذلك الحسد ؟! وما ذا نقول فيمن يدَّعى أن البيت الثانى فى قولنا :

أتْعَبْتِ ساقَيْكِ بلا مُوجبٍ يا حُسْنَ ساقيكِ بوثْبٍ يُرامْ !
هلاَّ تَسنَّمتِ ظهوراً لنا فكلُّنا يحملُ عِبْءَ الغرامْ ؟!
حَمْلُكِ مِن أحلى ثمار الهوى وعِبْئُكِ البِرُّ يُداوِى السقامْ !

معناه دعوة هذه الحسناء الى ركوب ظهر الشاعر بدرَّاجتها ؟ ! أيجوز أن يوجَد اسفافٌ فى النقد بعد هذا مع ادّعاء افساد الوزن لدى جاهلٍ بفنون الشعر والنظم ؟!

« ٥ »

كان من جراء تغلغل السياسة فى الأدب وسيطرتها عليه ومحاباة المشتغلين بها أن ظهرت خرافات كثيرة فى الأحكام والملاحظات النقدية واتسعت دائرة الفوضى . وزاد هذه الفوضى اتساعاً أن الصحف فتحت أبوابها من غير حيطة لتطفل الكثيرين من المتأدبين المتبرعين ، وفرحت هذه الصحف بذلك مادام هذا يوفّر عليها النفقة لاستكتاب الأدباء القديرين ، وحسبها أن تتظاهر بأن لها صفحات أدبية خاصة !

وكان تبعاً لذلك أن ازدانت تلك الصفحات «الأدبية» بأقبح النعوت لجمعية عاملة غيورة كجمعية أبولو يتقدم أعضاءها أمثالُ خليل مطران واحمد محرم والدكتور ابراهيم ناجى ومحمد الهيباوى واحمد الشايب والدكتور زكى مبارك والدكتور رمزى مفتاح وحسن كامل الصيرفى وخليل شيبوب ومصطفى عبداللطيف السحرتى وعبدالعزيز عتيق وسيد ابراهيم وأندادهم . وكان تبعاً لذلك أن الجمعية تغرّر بالشباب لأنها لم تقبل فى عضويتها سوى عددٍ محدودٍ منهم مكتفية لهم بالانصاف الأدبى العام ، رافضةً لهم ولغيرهم ألقاب «الاستاذية» وأمثالها التى يمنحها غيرُها حتى لطلبة المدارس ! وكان تبعاً لذلك أن يتقوّل عليها وعلى هذه المجلة الكائدون الأنانيون فى الوقت الذى نحرص أشدّ الحرص على الكرامة والاخلاق واستقامة المبادىء! وكان تبعاً لذلك تحريفُ أقوالنا والتخرجُ المعكوسُ فى تفسيرها والمغالطة فى شرحها واتهامنا بمناوأة اللغة العربية نحن الذين عملنا على خدمتها فى ميادين شتى بغيرة خالصة أكثر من ربع قرن ، وأن يأتى هذا الانتقاصُ لا من أمثال السكندرى والعنانى والبشبيشى وشرف ، ولكن من بائع خردوات نفسح له احدى صحفنا المحترمة أنهارها فيقول أدنه العالى عنا « هذا المخلوق » ! وكان تبعاً لذلك أن ما ننشره من شعر وأدب نقدى هو فجٌّ وأىُّ فجّ ، بينما ظهورُ نظيره من نفس أولئك الأدباء والشعراء فى الصحف المغرضة التى تنتقدنا يحوّله فوراً الى أدبٍ ناضج ! وكان تبعاً لذلك أن تُدبَّر ضدنا حملات واسعة النطاق فى صحف متعددة توصد أبوابها فى أوجه المدافعين عنا ، ثم يأتى أولئك الآثمون فيتبجحون بكل صفاقة بأننا ـ نحن المحصورين فى مجلة أو اثنتين ـ نكيد لزعماء هذه المؤامرة الواسعة النطاق المعتزة ضدّنا بكل ضروب الاختلاق والتشهير !

هذه هى الصورةُ العامةُ لعقليةِ تلك العناصر التى لا ترتاح فى الأدب لغير التحزّب الشخصىّ البغيض لا التحزب الفنّى البرىء ، وتبنى على ذلك التحزُّب ما

تشاء لها أهواؤها من افتراءات ودعاوى سقيمة ومكائد شتى وخرافات نقدية مضحكة ولكنها مع الأسف منتقصة لمستوى النقد الأدبى فى مصر .

يسأل صاحبنا الناقدُ السكندرى فى مقالة الرابع (بالوادى) نقدا لديوان (الشفق الباكى) — اذا صحّ أن يُسَمَّى هذا نقداً — علامَ نكثر من علامات التعجب فى أبيات « ارقصى يا غادتى ... » ويشغل من تلك الصحيفة نصف نهر فى ثرثرته ، وما ذلك الا لأنه لا يفهم روحَ القصيدة وما فيها من النداء المتوالى واللهفة . ولكن لا ذنب عليه اذا شغل القراء بأمثال هذه الخواطر ، ولا ذنب علينا فى تتبع سقطاته لا لأنه يَعنينا من أمره شىء ، ولكن لنسجّلَ لدارسى الأدب المصرىّ مبلغَ ما انتهى اليه النقدُ الأدبى من الاسفاف فى عصرنا الحاضر بفضل الصحف السياسية المنتشرة .

وصاحبنا هذا يخلط هذيانه فى تفسير الشعر الذى لا يفهمه بالشتائم يكيلها ، فتكافئه (الوادى) الغراء على ذلك بوضع « نقده » فى المكان الممتاز من صفحتها الأدبية ، وتسمح له بأن يقول إن كلمة « أفنان » لا تأتى بمعنى « فنون » بل هى جمع « فنن » فقط ، وتلك صورة من غروره وجهله اللغوى ! وماذا نقول فى الناقد الذى لا يفهم الحالة الرّوحية والتصوّفية لشاعر يقول :

أذكرينى فى أغاريدِ الطّيور كم تَغَنَّتْ مِن حنينى وبشعرى
واذكرينى فى تحياتِ الزّهور فهى مَعْنًى مِنْ بيانى قبلَ زهرِ !

ما ذا نقول فى هذا الناقد الذى يريد أن نزنَ هذا الشعرَ بميزانٍ هو أبعدُ ما يكون عن موازين الشعر حتى يتّهمَ الشاعرَ بالخلط والجُنون ؟! وما ذا نقول فيمن يأبى الأسماء العصرية الشائعة لصنوف من الخمور الفاخرة مثل « الكوكتيل » ولا يأبى أثقلَ الأسماء القديمة وان لم تكن لها مناسبةٌ فى نظمها ؟! وما ذا نقول فى الناقد الذى لا يرى التماسك فى مقطوعة « وجدان الشاعر » (ص ٢٩١) ويفصل بين الأبيات ثم ينتقصها ، ويعلق عليها بتعابير هى أشبهُ بصيحات أبناء الحوارى منها بتعليقات أديبٍ محترمٍ يكتب فى صحيفةٍ محترمةٍ ؟! وما ذا نقول فيمن لا يفهم حتى أبيات « السعادة » (ص ٣٠٧) ولا يعرف موقعَ البدل ومعناه ؟! وماذا نقول فيمن يحسب الوطنيةَ مغالطةَ نفسه وتملقَ « الأمية الكبرى » المتفشية فى الشعب المصرى ، وهى التى يمثلها « أنصافُ المتعلمين » أمثاله الذين جَنوا طويلا

على النبوغ فى مصر كأنما هو وَصْمَةٌ أو عارٌ ؟! إن الشعب المصرى فى عناصره شعبٌ كريمٌ يا هذا ، وحالته الحاضرة المشجية للغيورين الباعثة لشكوى الشاكين لم يخلقها غيرُ أمثالك من العابثين الجاحدين ، ونحن حقيقة نظلم هذا الشعب الكريم اذا جعلنا اللومَ عاماً .

* * *

هل هوايةُ الأدب وقفٌ على فريق معين من الناس بالنسبة لمهنهم المحترَفة ؟ الجواب طبعاً سلبيٌّ ، ولكن ليس معنى سلبيَّته أن كل انسانٍ فى أىّ مهنةٍ أهلٌ لأن يتناول الأدبَ تأليفاً ونقداً ، نثراً ونظماً ، اذا لم يكن لديه استعدادٌ فطرىٌّ لذلك . فالفردُ الذى يتهافت على النقد تهافتاً وينصب نفسه فى منصب القاضى وهو غير مستكمل للثقافة ولا لروح النقد أو أدواته ، ثم يُصدر أحكاماً طائشة على دخائل أدباء لم يختبرهم بعد ولمَّا يحتك بهم ، ويجعل نفسه أشبه بالببغاء الحاكى لأهواء المغرضين الكائدين الذين يتزلفهم ، ولا يتورَّع عن وصف أديب جهير « بذلك المخلوق » — مثل هذا الفرد لا يصحّ أن يوصف بالأدب ، فطابعه الصادق هو « قلة الأدب » أو « التطفل على الأدب » على أحسن تقدير ، وليس له أن يولول إذا قيل له يا عديمَ الأدب . . . هذا هو الرد المعقول الذى يجب أن يفهمه أديب الخردوات ما دام يتهجم على زمرة من صفوة الأدباء ذلك التهجم المعيب الذى يخالف الروحَ الأدبية الصافية . فالنقدُ الأدبى الخالصُ لا يسوءُ الا العاجزَ الضعيف ، وانما هذه الشوائب التى تُقحم فيه اقحاماً هى التى تسوء كلَّ انسان شريف .

ولكن لنعد الى ندّهِ الفاضل الذى يهاتر بفضل مناصريه فيلجأ الى انتقاص (الشفق الباكى) والى انتقاص شعرنا عامة بذلك الاسراف المخيف المعيب فى جريدة (الوادى) . فقصيدة « الجديد » (ص ٣٢٢) يجب أن تُعكس معانيها عكساً بتخريجات لا يحلم بها المجانين حتى يقال إنَّ هذا نقد عميق ، وحتى يقال إنَّ (للوادى) صفحة أدبية !

معقولٌ أن يُشجَّع الشبابُ على الانتاج ما دام موهوباً ، ولكن من غير المعقول أن يغرَّر بأمثال الغنام والعوضى الوكيل وأشباههما من الناشئين لينتقصوا أساتذتهم بدل احترامهم بأساليب لا شأن لها بالأدب وهى أبعدُ ما تكون عن الخلق الكريم .

ليكن النقدُ الأدبى مثالاً من الإنتاج التأثّرى بالمطالعة وليس أحدٌ ملزما بقبوله — كما ذكر الدكتور طه حسين أخيراً — وليس بمثابة الأحكام القضائية ، ولكن ما معنى التغرير بالشباب الى هذه الدرجة وتشجيعه لا على دراسة الآثار الأدبية لمعلميه بل على الاستهزاء بهم وشتيمتهم ؟! أهذا هو النقد الأدبى ولو فى أىّ معنى من معانيه ؟! ألا يكاد يقرب من البَـلَهِ أن يعجب الغنام من ظهور اسم صاحب (الشفق الباكى) فى ذيل قصائد المراسلة داخل الديوان تمييزاً لها عن الرّدود عليها فيحيره ذلك أشدّ الحيرة ويعدّه بمثابة الاعلان الشخصى ؟! أهذا هو النقد الأدبى يا أقطاب (الوادى) ؟! وقِسْ على ذلك تخبّطه فى شرح مقطوعة « قوس قـزَح » (ص ٣٤١) وتصوير ما يتعرض له قوس قزح من التقلبات ، كتخبطه فى الجهل باشباع الضّمّ على شـين « الشُّعراء » فى قولنا :

فى وشيكَ الزّاهى قد حيَّر اللاّهى
لونُ الدّماءْ !
أصبـــاغُ نقّـاشٍ جادت بانعـــاشى
والشعراءْ !

وإن أضاع المعنى فى سبيل حذلقته ! ولا يستطيع أن يفهم ذكر كلمة « الدماء » فى هذا الوصف مع أننا قلنا إن لون قوس قزح بدأ ضاحكاً ، وما ورد ذكرها إلا إشعاراً بحيرة الناظر ، ولكن ماذا يقال لمن يفهمون الأدب والشعر قراءةً متعثرةً دون أن يبالوا بالطبيعة ومَرائيها ومعانيها ؟! ومسكين هذا الناقد الذى لا يفرّق بين علامة النداء أو التنبيه وبين علامة التعجب !

وقصيدة «شعر الثقافة» (ص ٣٤٣) التى يعيبها أولى بأن يتدبرها ويستوعبها لعلّها تصلح من شأنه الميؤوس منه .

وأما عن المناسبات فليست مما يعيب الشعر ما دام عميق الروح لا يُعنى بالقشور فحسب ، وقد نظمنا وصفاً لحفلة ذكر ولحفلة سباق ولمولد السيدة زينب ولكثير من المشاهد المألوفة فى الحياة ولا نرى عيباً فى ذلك ، بل نلوم الشعراء الذين يتعمدون تجنّب هذه الموضوعات لتفاهتها المزعومة ، مع أن العبرة بتناولها الشعرى لا بعناوينها . وقس على ذلك الافتتان بابدال لفظ بآخر وإصغار الشاعر من أجل ذلك ، وهو تحايل نقدى لا يقدّم ولا يؤخر فى شىء ، كما أنه جهلٌ فاضح أحيـانا كما فى إنكار صاحبنا

العلاّمة كلمة «الظليم» بمعنى المظلوم ، وكما فى جهله بمعنى همزة القطع فى موضع همزة الوصل للتأكيد ، مثل قولنا فى رثاء طانيوس عبده (ص٥٣٥) :

يا شهيدَ الألحان ! إضحكْ من الدُّنـ يا وسامحْ دموعَ واف معنَّى !

ومن أغرب السخافات أن تُوجه الى الشاعر الذى له من القصيد المتنوّع المقفّى آلاف الأبيات «تهمة» العجز عن الوزن المقفى لمجرد تنبيهه الى الشعر المرسل والشعر الحر ونظمه بعضَ نماذجها ! ولو صحت هذه «التهمة» لما كانت مما يعاب فلكلّ شاعر أن يختار القوالب التى تلائم مزاجه مادام ينصف الشعر ، فكيف إذا كانت «التهمة» مجرد ادعاء وتحامل ؟ وشواهد الشعر العربى المرسل معروفة وقد أشار اليها غير واحد من الأدباء بينهم العقاد ، فليس من جديد إلا فى التوسع بهذا الشعر وادخال الشعر الحرّ free verse ، وخيرٌ للقراء أن يقفوا على نماذج هذا الشعر جملة بدل النظر فى الأبيات المبتورة التى لا تفيد أحداً سوى بهلوانية حضرة الناقد .

***

ذكرى شوقى

مما يؤسَفُ له زرايةً بالشعر أن يُعَدّ رثاءُ الموتى ضربةً على الشعراء فى حين أنّ الشاعر قد لا يواتيه الشعرُ أحياناً فى رثاء خاصة أعزّائه وأحبابه لاعتبارات شتى ، كما وقع فعلاً للمرحومين اسماعيل صبرى وحافظ ابراهيم وأحمد شوقى وغيرهم إزاء صفوةٍ من أخلص خلصائهم وبينهم غيرُ واحدٍ من المشهورين ... فمن العيب الفاضح ومن انعدام الكياسة أن يقول أحدُ المفتونين بالكيد فى الغمرة الأدبية الحاضرة إننا استأنا أشدّ الاستياء من المرحوم أحمد شوقى بك لأنه لم يرث والدنا المرحوم محمد أبو شادى بك ، وأن يقالَ هذا بكل وقاحة وسماجة عند الذكرى الثانية لوفاة شاعرنا الكبير ! . . . وكلُّ مَن يعرفنا يقدّر أن هذا السبب الموهوم أبعدُ ما يكون عنّا ، فنحن نعرف المحبة الوثيقة التى كانت بين الفقيدين ونحترم ذكراها ونعرف الاعتبارات السياسية التى أرغمت المرحوم شوقى بك على الابتعاد عن أعلام الوفد زمناً ما ، فالقول بأن شوقى بك لم يحفل برثاء أبى شادى بك غيرُ صحيحٍ وسبّةٌ لوفاء الشاعر الكبير ، ولكن هى الظروفُ التى أرغمته إرغاماً ، كما أرغمته على السكوت إزاء آخرين من أعلام الوطنية المصرية الذين فقدتهم البلاد .

أما خلافُنا سابقاً مع الشاعر الكبير فخلافٌ على المبادىء الأدبية وعلى مايتفرّع عليها من أساليب ودعايات ، وبالاختصار هو خلافٌ على فكرة الفردية ضدّ الجماعة أو على فكرة الملكية ضدّ الجمهورية فى الأدب ، وهو نفسُ خلافنا مع العقاد ، وفيما عدا ذلك فنحن أبعدُ الناس عن امتقاص فضل الرجلين أو التعرض لأخلاقهما الخاصة بحالٍ من الأحوال ، ولا نستحلُّ المسائلَ الشخصية التى لا تكون لها أوثقُ الصلات بالمذاهب الأدبية . وقد رأينا فى شيخوخة المرحوم شوقى بك تحوُّلاً عن مواقفه القديمة واجتناباً لمن كانوا يتابعونه فيها ، فسرّنا ذلك وتعاونّا أدبياً مع العقيد ، وحاولنا بمساعدة الصديق الشاعر سيد ابراهيم أن نصلح بينه وبين العقاد ، ولم يفتنا أداء الواجب نحوه حياً وميتاً . وكان حزننا وحزن زملائنا عميقاً لفقدانه ، كما وقفنا ازاءه موقفَ الوفاء والتسامح ، وجرى القلمُ بهذه الأبيات فى رثائه يوم وفاته (ديوان « الشعلة » ص ١٢٩) :

ختمتَ كتاباً للحياةِ وإن تكن ... خططتَ لسفرٍ آخرٍ منكَ عنوانَكْ
وإنْ أسرفَ اللُّوّامُ لوماً فانّنى ... اذا سأل التاريخُ أذكر إحسانَكْ
بكيتُ وقد جاء النَّعِىُّ يُثيرنى ... بكاءَكَ فى المنفى تسائلُ أوطانكْ
وإنى الذى يَنْسَى الاساءةَ راضياً ... وهيهات أن أنسى كغيرىَ نسيانكْ

ومن بين هؤلاء الفضلاء الكائدين مَنْ كان يرى فى تعبير شوقى (قِفْ) و (قُمْ) معانىَ نفسية لا تتفق والرجولة الكاملة ناسباً ذلك الى أصول « علم النفس » ! فاذا بنا الآن نسمع عكس ذلك ، وأن هذه هى تعابير القوة والهمة ! ... و« علمُ النفس » المسكينُ يُسخَّر الآن فى استنتاجات معكوسة لاتهامنا بمثل ما وُجِّه ضد شوقى — نحن الذين عملنا طويلاً على حسن توجيه الشباب وصيانة رجولته وكرامته والقضاء على الزعامات المصطنعة والمجتمعات المرذولة والآثار الاباحية وبيئات القال والقيل ، مكتفين بأن لعمل فى هدوءٍ واستقلالٍ وعزلةٍ ... ولكن ماذا ينتظر الآن وزمامُ النقد الأدبى غالباً فى أيدٍ هى أبعدُ ماتكون عن الخبرة بالنقد الأدبى ، وكلُّ ما يعنيها الظهورُ بأىّ ثمن على حساب الكرامات وأقدار الرجال وتسخير الأدب لشتى الأهواء ، فأصبحُ يتهم المرء منا بعكس صفاته البارزة المعروفة ؟! فهل كان شىءٌ من هذا القبيل فى مصر منذ ثلث قرنٍ قبل أن تكون لها جامعتها ومعاهدها العالية الحديثة

ومجلاتها وصُحفها الجديدة ، وقبل أن ترتقى هذا الرقىّ الأدبى ؟! واذا كان الجواب سلباً ، فهل نحن فى حقيقةِ نهضتنا سائرون الى الوراء أم الى الأمام ؟!

* * *

عبث الشباب

يَعرف قرّاءُ (أبولو) كيف نُعنى بالتعريف بشعراء الشباب خدمةً للجيل الجديد وتمهيداً لشعر المستقبل ، إلى جانب خدمة شعرنا الحاضر وانصاف رجاله . وعادتُنا أن نكتفى بالتعريف ولا نتوسَّع فى النشر لأىِّ شاعرٍ من شعراء الشباب لا ينهض بشعره مهما كانت مودَّتُه لنا . وقد تحاشينا وصفَ هؤلاء الشباب «بالاستاذية» ، لا كما تفعل مجلات كثيرة فى غير مراعاةٍ منها للواقع ولا لنتائج ذلك على نفسيَّاتهم وأخلاقهم .

وقد أغضبتْ هذه الخطةُ بين مَنْ أغضبتهم الشاعر الشاب العوضى الوكيل فكتب الينا مستاءً جدَّ الاستياء ثم سحبَ ما له من شعرٍ لدينا ، وكان ذلك منذ عام مضى . ومنذ أسابيع كتب الينا صديقُه الشاعر أحمد مخيمر رسالةً يُعلن لنا فيها أسفَ العوضى الوكيل وتودُّدَه العظيم الينا ثانيةً ، ويُعرض علينا قصيدته « صدى النور » للنشر فى (أبولو) ، ونظراً لما فيها من تقدُّمٍ شعرىٍّ لم نرَ بأساً فى نشرها . ثم أطلعنا فيما بعد على كتاب خاص اليه من العوضى الوكيل معزّزاً لرسالته السالفة الذكر .

وما كادت القصيدةُ تُنشَرُ حتى ذهب العوضى الوكيل يصول ويجول فى جريدة (الوادى) مفتعلاً من ذلك اعلاناً شخصياً عن نفسه ومدَّعياً أننا ننشر « أدبه » بالقوة (كذا !) ، وأنه ابتعد عنّا لأسباب لا علاقة لها بالأدب ! ! ورئاسةُ تحرير (الوادى) ترى من الواجب أن تشجِّع كلَّ منتقصٍ لنا — ناشئاً كان أم غير ناشىء — على نشر مثل هذا الاسفاف والهذر . فأمَّا عن الناحية الخلقية فيها فهى تخصّ معهدَ (دار العلوم) الذى ينتسب اليه العوضى الوكيل كما تخصّ مَن يتشدَّقون بالتغرير بالشباب ، وهم يجنون عليه بهذه الصورة وأمثالها ، ولهم أن يحققوا فى هذه المسألة ليعرفوا مبلغ ما انتهت اليه الأمانةُ عند مثل هذا الشاب . . . وأمَّا عن ناحية الكرامة فكرامتُنا موفورةٌ ، وانما هذه المناورة تنال الشاعرَ أحمد مخيمر الذى لم يتردَّد فى الكتابة فوراً الى جريدة (الوادى)

مصحّحاً ما أدّى اليه هذرُ صاحبه من مغالطة سميةٍ تمسّه دون أن تمسّنا ، ولكن نزاهةُ (الوادى) الغراء قضت بأن لا تنشر خطابه !

الى هذا الحدّ بلغت استهانةُ بعض الشباب بشرفه الأدبى فى سبيل الكيد طواعيةً لمن يسخّرونه فى سبيل ذلك ، والى هذا الحدّ ضاعت الحريةُ الصحفيّةُ تحقيقاً لذلك الكيدِ الذى يَفتنُّ فيه أنصار التحزّب الأدبى ، وبعدهم الطوفان !

« ٠ »

نقد الألحان الضائعة

قرأتُ للشاعر سيد قطب مقالاً فى (الأهرام) بعددها الصادر فى ٢٠ أكتوبر عن ديوانى (الألحان الضائعة) كنت أود لو أنه سلك به طريقَ النقد الصحيح ولم يجد به الى التجريح حتى لايفهم منه القارىء ما فهم ، لا سيما وأن بين الناقد الفاضل وبين (جمعية أبولو) التى أشتركُ فى عضويتها شىءٌ من النفور كشفت عنه مقالاته التى كتبها فى مجلة (الأسبوع) أخيراً ، كما كنت أودّ له أن يقف من الحق موقفَ المعترف فلا يبغى عنه حولاً كما لاحظت ذلك فى نواحٍ كثيرة من نقده ، إذ هو بينما يجد نفسه منساقاً الى الاعجاب بقصيدة أو معنى فى الديوان اذا به يريد نفسه على محاولة تغيير رأيه . ولأضرب على ذلك مثلاً قوله بعد أن نقل قصيدة «حياتى» التى قال عنها إنها نموذج لقوة أدائى ووضوح أسلوبى ودقة تعبيرى :

« ومثل هذه القصيدة الناضجة السليمة بالنسبة للشاعر » أومثل قوله عن الديوان : « ... وفى نقده نقد لشعر جميع الشبان الشعراء الذين لم ينضجوا بعد ، والذين لاتزال نهضة الروح الشعرية عندهم يعوقها عدمُ الضبط والتركز وضعف الأداء والتقصير اللغوى » .

هذان المثلان نموذجان للغمزات المدسوسة على كلمة الناقد الفاضل دسّاً ، وللتجريحات المكرّهة على أن تحتل مواضع لم تمهّد لها ، وهذا ما كنت أود أن ينزه عنه قلمه .

هذا شىءٌ ، أما الشىء الآخر فهو محاولته أن يقف من شعراء الشباب موقف مَن جاوز هذه السنّ واكتسب من تجاريب الحياة ومن تقدم العمر ما يؤهله للحكم على هؤلاء الشعراء ، فى حين أن الناقد هو من بين هؤلاء الشعراء الشبان الذين

ما يزالون يتطلعون الى الكوكب الدرىّ ويضعون الأسس ، وممن تنطبق عليهم تلك الأحكام التى أصدرها على شعرهم فهو فى كلمته يكثر من الكلام عن النضوج وقلّته فى شعر الشباب ، وهو يتكلم عن ضعف الأداء والتقصير اللغوىّ وعدم الدقة فى التعبير ، وهذه الاحكام الثلاثة الأخيرة تهمة لا يمكن أن تنهض على قدم وساق لأنها نغمة تعوّدنا أن نسمعها من بعض الأشياخ الذين يخشون على مراكزهم من حركة الشباب ونهوضه . وهى أشبه شىء بالنغمة التى كانت الجرائد الانجليزية ترددها فى المناسبات المتعددة من حياتنا الوطنية : نغمة الأقلية والأغلبية فى النعرة الدينية المعروفة بين عنصرى هذا الوطن !

والذى آسف له أن يفهم البعض أن من أصول النقد التعالى على المنقود واعتباره بالنسبة للناقد تلميذاً يخطو الخطوات الأولى ، وليس هذا هو النقد . فلقد قرأت للشاعر سيد قطب شعراً ينبىء عن مستقبل طيب ، على أن هذا الشعر لا يمكن أن يمهّد لصاحبه التكلم عن النضوج بمثل ما تكلم عنه ، وكنتُ أحب لو أنه ضرب لى الأمثال على هذا النضوج بشىءٍ من عنده حتى يمكننا أن نقتدى به ونتنافس فيه.

* * *

يقول الشاعر الشاب إن من مساوىء شعر الشباب التى تجتمع فى ديوانى التفكك والغموض والشطط والفوضى والرخاوة ! فأسائله عن موضع التفكك فى شعرى ، وأنا من أكثر الشعراء حرصاً على وحدة القصيدة ، كما أسائله عن هذا الشطط وهل وثبة الخيال مكروهة أو معيبة ، أم ما ذا يعنى هو بالشطط ؟! فأما الفوضى فيمكن أن تفسرها التهم الثلاث التى أشرت اليها فى أول هذه الكلمة ، وأما الرخاوة فقد استنتجت من كلامه أنه يعنى بها هدوء الشاعر ووداعته ، وهذا منطقٌ عجيبٌ ! بقى الغموض ، وهذا ما أسأل شعر الناقد عنه فهو ميّال الى الغموض ، وعلى ذلك لا يمكننى أن أقول إنها سيئة حتى لا أجرح شِعْرَه .

* * *

ويقول بعد أن يصفنى بالطائر المقصوص الجناح الذى « ينظر ويتأمل ويتألم ويحاول فى رفق أن يلفت الناس الى شدوه وشجوه فى نغم خافت باهت فان لم يسمعوا أو يلتفتوا لهذا الصوت الضعيف ، صمت أو أخذ ينوح ويشدو لنفسه فى سكون» . ثم يقول بعد هذا : «وفى هذا المستوى الشعورى يقف شعره فهو أبداً الطائر المغرّد

المقصوص الجناح ، أو الموسيقى الهادىء لا يسمع إلا نفسه والقريبين المنصتين ، فاذا أنت تطلبته فى الأوج أو فى غمار الحياة الصاخبة لم تكد تعثر عليه !!! »

هذه الجملة التى تذيلها ثلاث علامات تعجبية تحتاج الى تفسير . فماذا يعنى الأديب الفاضل بالأوج أو غمار الحياة ؟ ! أيعنى تصوير الحياة بمآسيها وأفراحها ، بضجتها وسكونها ، أم يعنى شيئاً آخر كتصوير الحركات السياسية والدخول فى معامع الانتخابات والتهليل لكل حاكم ؟ إن كان يعنى التفسير الأول فديوانى به زاخر ولا يستطيع أن ينكره وان كنت قد حاولت أن أرسم آلامَ العالم عن آلامى إذ أن شقاء البشر لا يختلف فيه فرد عن فرد وإن اختلفت وجوه الشقاء وألوانه ، فهذا لا يدعو الى الحكم بأنه لم يصل إلى أعماق الحياة وفلسفتها . أما إذا كان يعنى التفسير الثانى فلا أوجّه اليه الا سؤالاً واحداً وهو : كم عدد القصائد السياسية أو الصور الناطقة للحياة الوطنية فى مصر التى تضمّها دواوين العقاد على شدة اتصاله بهذه الحياة ؟

* * *

يأخذ علىّ قولى عن النفوس الخارجة إلى الكد فى الحياة بايمان وآمال هى فى ذاتها خادعة :

وكم قادها فى شعابِ الضلالِ سرابٌ يغرّر بالباصرَهْ

بقوله : « النفس لا تخلق السراب أو لا تتبع السراب إلا وهى مؤمنة بالحياة أوثق الايمان ، والحقيقة أننا لا نحب الحياة لأننا نؤمل فيها بل نحن نخلق الآمال لأننا نحب الحياة وننتظر أية تعلة فى القريب أو فى البعيد تسوغ لنا هذا التعلق بها ، أما حين تضعف فى نفوسنا خوالج الحياة وتفتر حيويتها فلن ينبض أملٌ ، ولن يلمع سرابٌ »

وأنا أطالب الناقد الفاضل بقراءة هذه الأبيات بدقة وتمعن فانى أصور النفوس الخارجة الى الكدّ وفيها نوازع اليأس التى تحاول هدم الايمان وتقويضه وايقاف النفوس عن الاستمرار فى طريقها بعد أن غرر بها الأمل .

كما أوجّه نظره الى أن البيت الآتى :

تئنّ أنينَ المريضِ الضعيفِ وتصرخ كالجنةِ الثائرهْ

لا تناقض فيه لأنى لا أصف نفساً واحدة وانما أصف نفوساً مختلفات خرجت

لأرزاقها ، ويمكنه الرجوع الى ذلك فى القصيدة حتى يعرف فى أىّ جانب يكون الحق .

أما خطأ الأداء اللغوى الذى يراه فى قولى :

فنرجعُ مِن غمراتِ العراكِ علينا كواهلُه القـــاهره

بقوله « نحن لا نرجع وعلينا كواهل العراك بل نرجع وعلى كواهلنا نحن أعباء العراك . وأى مجاز سليم يسيغ هذا التعبير ؟ » ولو تدبر الصورة لعرف اننى أريد تصوير العراك بصورة المستند بكواهله القاهرة على المتعبين الخائرين ولست أصور حمل العبء لان الصورة تمثل العودة من العراك ، وهذا كقولهم « أناخ عليه بكلكله » .

« ٠ »

يعود الناقدُ الى محاولته التى أشرتُ اليها من وضع نفسه فى مستوى بعيد ليظهر الشاعر بمظهر السذاجة التى لا تدرك شيئاً ، يعود الى النضوج الذى أراد أن يسبغه على نفسه وأراد أن يكرر اسمه بمناسبة وبدون مناسبة ، يعود الى ذلك عند الكلام عن قصيدتىّ « الشاعر » و « موت عزرائيل » فهو بعد أن يصفهما بأن فيهما طلاقة وجدة يعود فيدرك أنه ناقد وليس من أصول النقد أن يعترف الناقد بفضل لمنقود ! وليس هنا مجال المناقشة فى فكرة « الشاعر » ما دام هو لا يراها الا نموذجاً لعدم النضوج والقصور عن الشأو ، كما لا مجال لمناقشته فى قصيدة « موت عزرائيل » التى يرى اننى سرت فيها سيراً عادياً وانتهيتُ الى نهاية ساذجة لا أثر فيها للعمق ولا للطرافة ! ذلك لأنه يريد أن يصف عزرائيل منتحراً أو ميتاً موتة أخرى غير التى صوّرتها أنا ولأنه كان سيموت نفس هذه الميتة ولو لم أكتب قصيدتى كما يقول !

وكيف أناقشه وأنا ليس عندى ما عنده من نضوج الفكر الذى رأى الفكرة ساذجة بعد أن وجد غيره قد اكتشفها وطرقها ، كما رأى بعض الناس أن فكرة اكتشاف العالم الجديد شىء عادى بعد أن عرفه كولمبس !

وقد شاء الأديبُ الفاضلُ إلا أن يوجّه غمزاته المعروفة فهو يقول إن بين قصيدة الشاعر وبين قصيدة « ميلاد الشاعر » لعلى طه أو قصيدته « الله والشاعر » تقارباً ، كما يرى هذا التقارب أيضاً بين قصيدة « موت عزرائيل » وقصيدة العقاد « ابليس ينتحر » ، وإن لم ير أىُّ ناقد مستقل شيئاً من ذلك ولو جارينا حضرة الناقد لوجب أن ننبه على آثار وليم بليك ودانتى وملتون

وأضرابهم وهم مَن سبقونا بأجيال وتناولوا أمثالَ هذه الموضوعات ، ولكنى لا أحب انتقاصَ أحدٍ من زملائى الشعراء .

شىء عجيب ! الآن أصبح الناقدُ الفاضلُ يدين لعلى طه بالأسبقية وهو الذى كان يحدثنى مرة فى نادى الصحافة عما وجده فى ديوان (الملاح التائه) مأخوذاً منه ، فاذا كان قد نسى ذلك فان فى كل نفسٍ ضميراً يحاسبها . على ان هذا الموضوع سأتناوله أنا بالتفصيل فيما بعد .

ولكن لى أن أسأل الناقد الفاضل سؤالاً على الهامش : ألا يجوز لى أن أقول له إن قصيدته « بين الظلال » فيها لبنات من شعرى يرتكز أساسُها عليها ؟ وهل يصح لى أن أقول بعد أن يصدر ديوانه هو فى العام القادم ان بينه وبين على طه تشابهاً فى الأبيات التى ذكرها لى فى نادى الصحافة لأن ديوانه صدر بعد ديوان (الملاح التائه) ؟!

* * *

فاذا تركتُ هذا كله للناقد الفاضل وناقشتُه فى اللغة التى يريد أن يجرِّدنى من معرفة أصولها واظهارى بمظهر المبتدىء قلت له إن كلمة « عزف » مختلف فيها إذ لم ترد بمعناها المصطلح عليه الآن فى معاجم اللغة ، وان تهكمه على عدم وجود الفاعل فى البيتين الآتيين :

تعالى ! ليس يدرينا اذا ما جفت الكاسُ
أنلقى مَن يساقينا تعالى ! كلهم ناسُ !

يردّ عليه بأن جمهرة النحاة اختلفوا فى هل يقع الفاعل جملة أم لا . فبعضهم رأى انه يقع مطلقاً جملة مثل « يعجبنى يقوم زيد » وكما فى القرآن الكريم « ثم بدا لهم من بعد ما رأوا الآيات ليسجننه حتى حين » وفى مثل آخر : ظهر لى أقام زيد ؟ وفى آية أخرى « وتبين لكم كيف فعلنا بهم » وقيل : يقع ان علق عنها فعل قلبى بمعلق . وقال الدمامينى تبعاً للمغنى تقع ان كان التعليق بالاستفهام كما فى المثال الثالث والآية الأخيرة لأن الاسناد حينئذ فى الحقيقة الى مضاف محذوف لا الى الجملة إذ المعنى ظهر لى جواب أقام زيد ، وهذا التقدير لا بدّ منه دفعاً للتناقض إذ أن ظهور الشىء منافٍ للاستفهام عنه ، كما أقول له عن مؤاخذاته لى على فتح ياء المنقوص فى البيت الآتى :

قد واتت الآسنَ الأمانى والجارىَ الماء لم تُواتِهْ

ان (الجارى الماء) منصوب على الاشتغال لفعل محذوف يفسره قولى بعده « لم تواته» هذا وجهٌ، وله أن يعتبره معطوفاً على « الآسن » من وجه آخر ، وهناك وجهٌ ثالث فى حالة ما اذا جعلنا الهاء من « تواتِهْ » هاء سكت ، وعلى ذلك يكون « الجارى » مفعولاً للفعل « توات » . أما قوله عن فتح ياء المنقوص فلا يعتمد على دليل ولا يوجد ما يؤيده وله أن يرجع فى ذلك الى باب الاشتغال فى كتب النحو .

ويؤاخذنى على استعمال الفعل « يشعر » متعدياً بنفسه ، وفى هذا أذكّره بباب التضمين أو أذكّره بالنصب على نزع الخافض كقول الشاعر :

تمرُّون الديار ولم تعوجوا كلامكم علىَّ إذاً حرامُ

وأحيله الى (كتاب درة الغواص) وشرحها للشهاب الخفاجى ففيه بحث طويل حول كلمة « ضوضاءة » ثم أوجّه نظره إلى أن « ما » الواردة فى البيت :

يمرُّ فى الروض ما يُغَنَّى يهز فى الروضِ مُورقاتِهْ

هى « ما » الموصولة وليست الشرطية ، وقد حدث خطأ مطبعى فى الفعل « يُغَنَّى » إذ ورد فى الديوان بكسر النون المشدَّدة . وعلى ذكر الأخطاء المطبعية أقول للناقد الفاضل إنه ليس من النقد فى شىء أن يلجأ الناقد الى الأخطاء المطبعية التى يمكن ادراكها ، كما حدث له أن آخذنى على أن « الرأس » استعمل بعدها فعل يدل على التذكير ولو رجع حضرته إلى بيان التصويبات فى آخر الديوان لوجد تصحيحاً لهذا الفعل .

أما عن « جولات » التى يقول إنى أخطأتُ فى فتح العين فيها لأنها غير صحيحة العين فأقول له إن علماء الاشتقاق يقولون انه إذا أريد أن يجمع الاسم جمع مؤنث سالم نظر اليه فان كانت عينه حرف علة وقبلها حركة مجانسة بقى على حاله بدون تغيير ، وإن كان ما قبل حرف العلة مفتوحاً نحو «جوزة وبيضة وحولة» ففيه لغتان : لغة هذيل وتقول بالاتباع ، ولغة غيرهم الإسكان . وعلى اللغة الأولى قرىء « ثلاث عَوَرات لكم » بفتح الفاء والعين ومنها قول الشاعر :

أخو بَيَضاتٍ رائحٌ متأوِّبٌ رفيقٌ بمسح المنكبين سَبوحُ

هذه بعض ردودى عليه فى الاخطاء اللغوية التى يرى الشاعر الشاب أنها من مساوىء شعر الشباب .

فأما العروض الذى يريد أن يتهمنى بضعفه لأنى كتبت قصيدة مزجت فيها بحرين فى شطرىْ كل بيت لموسيقى خاصة أستسيغها ويشايعنى فيها كثيرٌ من المعجبين بها ولا أرى فيها غضاضة وأنا أعرفها وأشرتُ اليها لكنه يحاول أن يجعلها عيباً ، فهل اذا كان ذلك يضعف من شاعريتى فهل أضعفت شعرَ العقاد تلك المؤاخذات العروضية التى أشار اليها مصطفى صادق الرافعى وغيره من كبار النقاد؟ وليس عدم ظهور الياء فى قولى « تركتنى ارتشف اللمى » أو قولى « كآبتى أفقدتنى الابتسامه » عيباً وقد وردت الآية الكريمة وفيها حذف الياء فى قوله عزّ شأنه : « وما خلقت الانس والجن إلا ليعبدون » أو كقول الحطيئة :

فان يصطنعنى اللهُ لا أصطنعكمُ ولا أوتكم مالى على العثراتِ

هذا ما عنّ لى كتابته على مقال الأديب الفاضل ، ولولا غمزاته وتجريحاته المقصودة ما رددتُ ، ولكنت قد تقبلتُ منه نقده كما أتقبل نقد الكثيرين باعزاز . والله أسأل أن يهدينا جميعاً الى السبيل السوىّ والى خدمة الفنّ الخالصة ؟

حسن كامل الصيرفى

* * *

رسائل النقد

نشرت مجلة (الشرق) التى تصدر عن سان باولو (البرازيل) بعددها المؤرّخ ١٥ ايلول سنة ١٩٣٤ مقالاً عن كتاب (رسائل النقد) لمؤلفه الشاعر الناقد الفاضل الدكتور رمزى مفتاح رأيتُ أن أعلّق عليه بهذه السطور إن سمحتم .

فكاتب ذلك المقال — وهو الأديب الفاضل حبيب البشعلانى — لا يعرف الجوّ الأدبى فى مصر معرفةَ المتصل به ، وهو يستشهد بكلمة عامة لمجلة (المقتطف) مجاملةً للعقاد على حساب رمزى مفتاح ، ولم نسمع عن (المقتطف) كلمة استنكار واحدة لكتاب (الديوان) الذى أصدره قبلاً العقاد والمازنى على ما فيه من الهجو القبيح والمغالطات الفاحشة والتحامل البغيض . ولو كان الأديب البشعلانى فى

مصر لما استغرب لذلك ، فهذا السكوت وهذه المجاملة لهما سوابق فى تحرير غير واحدة من المجلات فى مصر . فليس له أن يأخذ بشهادة (المقتطف) النقدية فى شىء كما لا نأخذ نحن بها ، وليعلم أن كتاب (رسائل النقد) معدودٌ ذخيرةَ لغةٍ وأدب وبحوثٍ نفسيةٍ قيمةٍ . واذا كان فى عباراته بعضُ الشدّة أحياناً فهى شدة المصلح المخلص الذى ليس له أىُّ غرض شخصى من وراء ذلك ، وليس بينه وبين مَن تناولهم بنقده أى خصومة شخصية بعكس حال العقاد واخوانه (راجع ما كتبه الدكتور رمزى مفتاح فى « أبولو » وآخره ما ظهر فى عدد أكتوبر الماضى) . وهذه حقيقة لا ريب فيها وليس من مصلحة أحد إنكارها .

ولولا أنَّ الأديب الفاضل حبيب البشعلانى غيرُ واقفٍ على تطوّر الشعر المصرى فى الثلاثين سنة الأخيرة لما تورّط فى ذلك الانتقاص الغريب لشعر عبدالرحمن شكرى ، ولما تعامى عن الحقائق التاريخية التى يستحيل أن ينكرها أىُّ رجل مستقلٍّ تعنيه حرمةُ الأدب قبل حرمة الأشخاص ، ولا يتأثر بالتهليل والتزمير الذى يظفر به أدباء السياسة وفى مقدمتهم العقاد فى الصحف الموالية التى تجعل منها ومن أنصارها « عصبة مقدّسة » بالحق وبالباطل ... وقد تدرّج حضرة الكاتب من ذلك الى دفاع طويل عريض وهو غيرُ ملمٍّ بأصول هذه القضية ولا واقف على شعر شكرى بجملته ، بل نظر فيما كتب الى عبارات أشياع العقاد فى مصر ومعظمهم من المأجورين الشتامين . ولو أننا أخذنا بدفاعه هذا وطبقناه تطبيقاً عاماً لأصبح الانتحال والسرقة الجريئة من الأمور العادية بل المستحسنة بين شعراء العصر! فلو لم يكن لكتاب (رسائل النقد) من فضل سوى وضع حد لهذه الفوضى لكفى به نفعاً للأدب العصرى وفخراً لمؤلفه وبعد هذا فيجب أن لا ينسى الأديبُ البشعلانى أن العقاد عاد أخيراً ومجّد شكرى أعظم تمجيد ، كما أن المازنى اعترف بخطئه فى حقِّ ذلك الشاعر المجيد .

ولو تتبّع الأديب البشعلانى أعدادَ مجلة (أبولو) منذ صدورها ولم يكتف بتصفح أعداد قليلة منها لوجدها مثالَ الاعتدال الحكيم وضبط النفس والبعد عن التحزب الممقوت ، وكل غايتها خدمة الشعر العصرى الراقى وانصاف الشعراء بغير اعتبارٍ لجنسٍ أو ملةٍ أو مذهبٍ سياسىٍّ . ولكن هذه النزعة الشريفة لم تُرض العقاد فى أنانيته لأن كلّ همّه منذ سنين محصور فى التفرّد ، وحوله فئة يتعهدها لتنافح عن ذلك بكل وسيلة مشروعة وغير مشروعة ولتهدم منافسيه . فسرعان

ما حارب (أبولو) وجمعيتها بقلمه وبأقلام أنصاره محاربات عنيفة شتى فى الصحف والمجلات الحزبية الى درجة الإقذاع وتناوُل أعراض الناس ، كلُّ هذا والمجلة برغم منبرها الحرّ فى النقاش لم تنكر فضله الأدبى ولا فضل غيره ـ متحملةً بصبر جميل ما تلاقيه من العنت والاساءة ، مكتفية بالدفاع الضرورى عن مبادئها الأدبية وشرف رجالها . ولا شكَّ فى أنّ هذه الحالة الأدبية المؤسفة هى نتيجةُ الحالة السياسية المضطربة التى انغمَسَ فيها العقاد وأصحابه أىّ انغماس ، ثم نقلوا عدواها الى مجال الأدب فأفسدوه افساداً بأساليبهم الملتوية ودسائسهم القبيحة ومناوراتهم التى لانهاية لها ، مما لا يجهله أىُّ ناقد مستقل يعيش فى مصر ويتبع بدقةٍ التطوّرَ الأدبى فيها .

وانّ مجلة (الشرق) وأنصارها ليُهنّأون بابتعادهم عن هذا الجوّ المسموم الذى يرجع أصل الفساد فيه أدبياً واجتماعياً وسياسياً الى علةٍ واحدةٍ هى « الأنانية الحمقاء » ؟

محمود الخولى

* * *

الشعر و دار العلوم

لا نعرف الى الآن شاعراً مجيداً ولا ناقداً مبرّزاً من خريجى دار العلوم دان بألمعيته الى تعاليمها قبل أن يدين بهذه الألمعية الى طبعه أولاً ثم الى اتساع أفقه الثقافى نتيجة اطلاعه على الآداب العالمية سواء أكانت بلغاتها أم منقولة الى العربية . وليس معنى هذه الملاحظة انتقاص فضل هذا المعهد العظيم الذى نحبّه ونجله لما له من الأثر الكريم فى إعزاز الأدب العربى وابراز كنوزه المخبوءة . ولكن معنى ملاحظتنا أننا لا نحبّ لهذا المعهد الجليل أن يتّسم بعضُ فضلائه بسمات الجمود وأن يتصوّروا فى هذا الجمود من فضائل الغيرة على لغة القرآن ما يزوّق لهم خيالهم .

وأقربُ الأمثلة على ذلك ما كتبه المربّى الفاضل محمد هاشم عطية فى عدد أكتوبر الماضى من (صحيفة دار العلوم) عن « الأدب فى نهضتنا الحديثة » فقد أخذ يلقى بأحكام غريبة على الأدباء المجدّدين تلمح من خلالها أن كلَّ ذنبهم يرجع الى عدم انتسابهم الى بيئة دار العلوم وإنْ احترموها كلّ الاحترام . والمقالُ فى أسلوبه

ومنطقه ونظراته مما لا يُتصوَّر صدوره عن قلم مدرّسٍ معاصرٍ في هذا المعهد الجليل لأنه نتيجةُ حميةٍ خاطئةٍ طاشت أحكامها .

وأول هذه الأحكام الغريبة أنّ الأديب العصري لا يجوز أن تعنونَ قصائدُه بعناوين شعرية ، وإلاّ كانت هذه كلمات مجلوبة وألقاباً مموّهة ومظاهر لاتهام الأدب العربي ! كأنما يحرّم أدبُنا العربي علينا أن تكون لنا ميول وأذواق جديدة ، وكأنما تعابيرنا الجديدة لا تزيد من ثروته كما هو شأن كل لغة حية في العالم !

ويخصنا الناقد الفاضل بجانب غير يسير من عنايته النقدية التي نشكرها له متناولاً معظم مادة نقده من ديوان (الينبوع) على مثال الأسلوب الذي عِبناه في العدد الماضي من (أبولو) حين تحدّثنا عن « روح الفقيه وروح الشاعر » (ص ٢٥١).

يعيب ناقدنا البيتين الأولين من قصيدة « عيون المنصورة » (ص ٥ من « الينبوع ») التي نذكرها هنا بنصّها لأنها تشرح ذاتها بذاتها :

عيونٌ كلُّها فِتنٌ وأصداءٌ من الفِتَنِ
أحنُّ لسمرةٍ فيها كسمرةِ مائها الفَنّي[1]
فكم فيهِ تحيّاتٌ من الأجيالِ والزَّمَنِ
وكم فيهِ عباداتٌ لنهرِ روحُه وطني
نظرتُ إلى مَعانيها كأنّي لستُ أدريها
فكم من سبحةٍ فيها لروحي إذْ تناجيها
تناجي ظلَّها الحاني ونُوراً حائراً فيها
وكم في الظلِّ والأنوا رِ أحلامٌ ا ناديها !

ومع هذا يقول حضرة الناقد إنّ ذكر كلمة « أصداء » بعد قولنا « كلها فتن » لا قيمة له ، وأنّ « المعروف أن يترقّى القائل في المدح من الأهون إلى الأقوى لا العكس » . ونحن نقول إن مثل هذا النقد الفقهي لا قيمة له عند مَنْ يتذوّقون الشعر تذوّقاً فنياً ولا يحارون حتى في المراد بعنوان القصيدة ! إنّ الشاعر في هذين

(١) ماء النيل المطلة عليه مدينة المنصورة .

البيتين الأوّلين يتحدّث عن سحر العيون السمراء التى اشتهرت بها مدينة المنصورة (أو التى اشتهر بها أهلها إذا شاء) ومن ثَمّ ينتقل إلى وصف تأثيرها فى نفسه. فهو يقول أوّل ما يقول واصفاً إن هذه العيون كلها فتنٌ كما أنه تتألق فيها أصداء هذه الفتن، فيُخيَّل اليك أنك ترى فى لمحاتها أحلامَ ضحاياها ولوعاتهم، فهى تجذبك اليها وتروعك فى آنٍ، وهذا تصويرٌ حىٌّ لسحرها العاتى. ثم ان اشارة الحنين الى هذه السمرة المماثلة لسمرة ماء النيل الذى وصفه الشاعر بأنه فنٌّ الروح هى اشارة فى محلّها يتذوّقها الشعراء وإن لم يفهمها الفقهاء، فلا يجوز لهم أن يتعرضوا لها ولا الى الشعر جملةً

وعلى هذا القياس لم يستطع ناقدنا الفاضل أن يفهم هذين البيتين من قصيدة «زهرة الحب» (ص ١٩ من «الينبوع») المستوحاة من صورة حسناء زُيِّن جسمها العارى بالزهر وأوراقه:

عَرضت لنا تقاسيمَ الجمالِ وإشعاعَ الحقيقةِ والخيالِ
تَلألأ بالهوى القدسىّ بينا تَدفّقَ بالتجاوبِ لابتهالى

فأىّ غموض فى البيت الثانى لأىّ قارئ، له ملكة شعرية؟ وكيف تكون كلمة «بينا» حشواً وهى فى موضع «بينما» ولا غنى عنها لاستقامة المعنى؟!

وأمّا عن «أنشودة الهاجر» (ص ٦٦ من «الينبوع») فهى من الشعر الغنائى المحض، وخيرٌ له أن يسمعه ملحّناً قبل أن يحكم على رداءة نسجه، فسيرى حينئذ كيف تنسجم حروفه فوق انسجامها، وكيف تكون حلاوة التكرار الذى يعيبه مع أنه طبيعىّ فى موضعه.

ويعيب حضرته عنوان «الالـه المتنكر» وبعض الأبيات فى ديوان (أطياف الربيع) — ص ١١٦ — وانما يعيب ذلك لا باسم الفن بل باسم الدين الذى هو فى غنى عن الدفاع عنه ولا تأبى روحُه مثل هذه التعابير لغايات فنية نبيلة.

والخلاصة أننا نتمنى على حضرة الناقد الفاضل لو ترك نقدَ الشعر لأهله، فان تحامل بعضهم على بعض لأهونُ عندنا وعندهم من مثل هذه الروح الفقهية، ولا شكّ فى أن المجال فسيح أمامه لخدمة فقه اللغة أو غير ذلك من فنون الأدب العربى مما هو أقرب الى مزاجه.